صراحة

من زمن التوهج

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

العدد (2499) السنة التاسعة

الخميس (31) أيار 2012

6

جعفر علي

مؤسس السينما العراقية

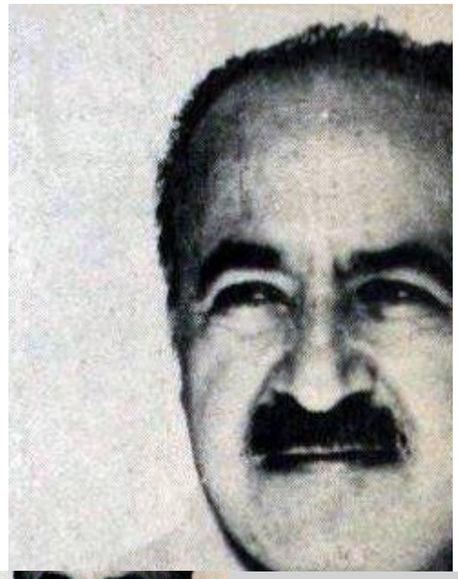

جعفر علي..
لكي لا تمر ذكرى رحيله مرور الكرام

صباح المندلاوي

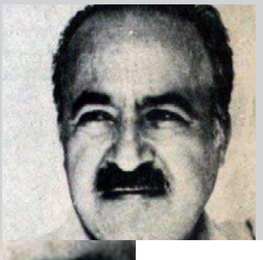

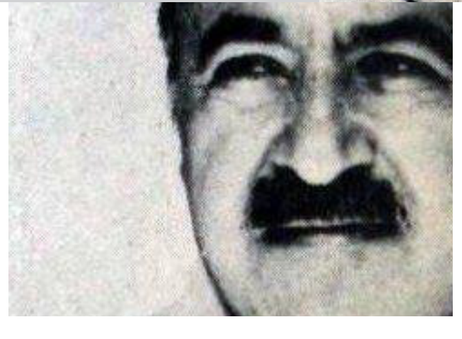

تعرفت علي الفنان الراحل جعفر علي للمرة الاولي في اواخر الستينات حينما حملت له رسالة من فنان الكاريكتير الراحل حميد المحل وفيها يطلب تقديم ما يمكن تقديمه لي من مساعدة لغرض تسهيل قبولي في اكاديمية الفنون قسم المسرح عام ١٩٦٨.

واذ حان موعد الاختبار من لجنة القبول في الاكاديمية واغلبهم من الاساتذة الاجلاء واذكر منهم: ابراهيم جلال سامي عبد الحميد واسعد عبد الرزاق وجعفر علي.

سألني الاستاذ جعفر: ما الذي يدعوك لاختيار فرع المسرح في اكاديمية الفنون الجميلة؟ قلت له: ثمة رغبة حميمة في ان اخدم شعبي عبر نافذة المسرح وما ينطوي عليه من قيم انسانية وثورية نبيلة وباساليب متنوعة وجمالية اكتفي بما ورد علي لساني من اجابة. بقية اعضاء اللجنة بدأوا باختباري ايضا كل وحسب اختصاصه. مرت ايام وظهرت النتائج فاذا بي اقبل في كلية الاداب وفي اكاديمية الفنون الجميلة حيث ان معدل تخرجي من الثانوية كان يزيد علي السبعين باربع درجات. اخترت الاكاديمية وانتظمنا نحن الطلبة في صفوف عدة.. ها هو الاستاذ جعفر علي يتولي تدريسنا مادة (الاذاعة والتلفزيون). بل ويعود له الفضل في القيام باول زيارة لمبني الاذاعة والتلفزيون في الصالحية وكجزء من التطبيقات العلمية والتعرف علي اقسام الاذاعة وسير العمل فيها. خلال تجواله في اروقة الاذاعة كنا نتلمس احترام وتقدير العاملين فيها له. اذ سبق وان شغل منصب مدير التلفزيون في مطلع الستينات بعد ان انهي دراسة الاخراج السينمائي في جامعة ايوا الامريكية عام ١٩٦١، ما اكثر ما كان يحدثنا عن الافلام السينمائية او شاهدها اثناء دراسته في الخارج وفي احيان يترجم ما يراه ضروريا من المقالات في هذا الميدان ولفائدة الباحثين والمتتبعين.

لازلت اذكر جيدا واذ لم تمض اسابيع علي دخولنا الاكاديمية حتي صرنا نشهد بين اونة واخري فيلما متميزا في نادي الاكاديمية وباشرافه ومن هذه الافلام (العام الماضي في ماريناباد اخراج الان ربنيه من فرنسا وهو من الافلام المثيرة التي يتدخل فيها الحلم بالواقع ويتجاوز السائد والمالوف ويحمل المبتكر حتي نخال اننا امام لوحة سريالية دون ان ننسي التقديم الجميل للفلم والملاحظات النقدية من الفنان الراحل. وبحكم اتقانه اللغة الانكليزية وهو الذي درس الادب الانكليزي في كلية الاداب جامعة بغداد وتخرج فيها عام ١٩٥٦ فضلا علي سفره الي امريكا وحصوله علي الماجستير في السينما والتلفزيون لاحقا تراه يترجم من الكتب والمقالات ماله علاقة بالسينما والتلفزيون والمسرح. في مطلع السبعينات يحمل الينا نحن طلبة الاكاديمية مسرحية بعنوان (فيت روك) لميغان تيري وهي من ترجمته مفكرا في اخراجها لصالح الاكاديمية وعنوان المسرحية كما لو يقترب من (الروك اندرول) الرقصة الامريكية الشهيرة وللدلالة علي الخسائر التي تكبدتها القوات الامريكية علي ايدي الفيتناميين وهم يخوضون حرب المواجهة والتحدي.

وما زلت احتفظ بين اوراقي نص اللقاء الذي اجريته معه والذي نشر في جريدة الجمهورية عام ١٩٧٠ مسلطا الضوء علي ما تحمله المسرحية من قيم وقضايا جاءت نتيجة المعاناة والتمرد ضد الحرب الاستعمارية في فيتنام وبما يؤكد الرغبة الانسانية في ان يسود السلام علي الارض وعن الفرقة المسرحية التي قدمت هذه المسرحية نراه يقول: (في عام ١٩٦٦ عندما حاولت هذه المجموعة تقديم مسرحيتها (فيت روك) لم تجد غير الساحات العامة والمقاهي لان ابواب المسارح في برودواي لا تفتح الا للعروض التي تجد اقبالا تجاريا).

قدمت هذه المسرحية في العراق في حصن الاخيضر بكربلاء وفي الهواء الطلق ومثلها طلبة الاكاديمية علي اختلاف مراحلهم واذكر منهم الفنان حسن عبد وجواد الاسدي وعقيل مهدي وعبد الجبار كاظم وعز الدين طابو، فكانت بحق تجربة جديدة ومهمة اثارت صدي حسنا واهتماما ملحوظا في الوسط الفني كنت يومها امثل دورا في المسرحية دور الجندي الخائف من اهوال الحروب ولا زلت اذكر جيدا صورة المخرج الراحل جعفر علي بقامته القصيرة وهو يحمل الاكوريدون ويعزف ببراعة ملحوظة ليربط بين مشاهد المسرحية بل ليذكي ضرباتها وردود افعالها فيما بعد اكتشفت انه يجيد العزف علي البيانو ايضا ويمارس الرسم لا يدرك هذا الانسان حقيقة الصراع الطبقي فانه يدور في فلك دوامة تعتصر قواه وتستنزف طاقاته وتجعله يعيش قلقا دائما وشكا في حديقة حيوان كبيرة هي المجتمع الرأسمالي وينتهي في غموضه بالعدم).

٤- السؤال تأليف محي الدين زنكنة.

٥- وبالاضافة الي عمله كمخرج مسرحي عرفناه ممثلا وها هو يمثل دور السجين في مسرحية (مواطن بلا استمارة) لكاتبها عبد الصاحب ابراهيم ومن اخراج الفنان وجدي ناظم شاكر الي جانب كوكبة من الوجوه المعروفة واللامعة ومنها: قاسم حول ، عبد الوهاب الدايني، بسام الوردي، فاطمة الربيعي، علي فوزي، علي رفيق، اديب القليه جي ، وداد سالم، فيصل المقدادي، ازهر جواد، فاضل الحلاق، صفوت الجراح، عباس الجميلي، علي كامل، عز الدين طابو وكاتب هذه السطور قدمت المسرحية في الخامس من كانون الاول عام ١٩٧٠ علي خشبة المسرح القومي في كرادة مريم. وتتوالي الاعمال الاخري التي تجمعنا يوميا في باحة الفرقة الكائن في عمارة الطريحي – شارع السعدون مع هذا الفنان القدير الذي لن ننسي دوره البارز في غرس حب المسرح والتعرف اليه عن قرب وبما يعزز التوجه من اجل مسرح عراقي انساني المضمون وبما يكرس ان المسرح للشعب وبكل تألق وابداع وبعيدا عن الهبوط والانحطاط والسذاجة والارتجال.

لقد اخرج في عقد السبعينات المسرحيات التالية للفرقة

١- الغريب

٢- ضرر التبع تاليف تشينوخوف وقد مثلها الفنان المبدع قاسم حول وقدمت بمناسبة يوم المسرح العالمي

٣- قصة حديقة الحيوان تأليف ادوارد البي . وقد جاء في كلمة المخرج ضمن بروكرام المسرحية.

(العالم الرأسمالي يحيل الانسان الي الة صماء تقوم بوظيفة واحدة هي انتاج البضاعة وجني الربح

والعالم يحيل الانسان المرهف في حالة من التمزق الذي لا يطاق وحين لا يدرك هذا الانسان حقيقة الصراع الطبقي فانه يدور في فلك دوامة تعتصر قواه وتستنزف طاقاته وتجعله يعيش قلقا دائما وشكا في حديقة حيوان كبيرة هي المجتمع الرأسمالي وينتهي في غموضه بالعدم).

٤- السؤال تأليف محي الدين زنكنة.

٥- وبالاضافة الي عمله كمخرج مسرحي عرفناه ممثلا وها هو يمثل دور السجين في مسرحية (مواطن بلا استمارة) لكاتبها عبد الصاحب ابراهيم ومن اخراج الفنان وجدي العاني.

قدمت هذه المسرحية ضمن احتفالات يوم المسرح العالمي وكانت احدي الاعمال المتميزة لكنها لم تمنح الجائزة وهناك من يعتقد بأن السبب هو ان كاتب المسرحية تبعية ايرانية وربما الممثل (جعفر علي) تلاحقه مثل هذه التهمة ايضا.

اعمال عالمية

ولم تكتف الفرقة بتقديم اعمال مسرحية تركت اصداء ايجابية ومهمة في الساحة المسرحية بل سعت لتقديم اعمال تلفزيونية عالمية ومحلية متنوعة ولنا ان نشير الي بعض منها وهي من اخراج الفنان الراحل جعفر علي

١- صمت البحر لفيركور وبطولة الفنان الراحل بسام الوردي

٢- الرجل الذي فقد رائحته تأليف عارف علوان وبطولة قاسم حول واديب القليه جي وتمثيل نجيب عربو وعلي فوزي وفاروق اوهان وكاتب هذه السطور

٣- سترة توصاه اعداد جعفر علي

٤- شناشيل وهيب تأليف نور الدين فارس وتمثيل سليمة خضير

٥- زهرة السلطان اعداد جعفر علي وتمثيل وداد سالم وعلي فوزي وكاتب هذه السطور

٦- الابرة واللهب تأليف نور الدين فارس

٧- القضية رقم ٢ تأليف عارف علوان وقد سجلت هذه التمثيلية للتلفزيون ولم تبث كونها تتصدي لموضوع الفساد الاداري والبيروقراطية وقد ادي دور البطولة فيها الفنان علي فوزي بالاضافة الي اغلب اعضاء الفرقة. اما علي صعيد السينما فقد اخرج الافلام التالية

١. الجابي لصالح مؤسسة السينما والمسرح عام ١٩٦٥ وقد مثل دور البطولة فيها الفنان اسعد عبد الرزاق

٢. المنعطف عن رواية (خمسة اصوات) للروائي غائب طعمة فرمان

٣. سنوات العمر – لم تسمح لجنة رقابة الافلام بعرضه

٤. نرجس عروس كردستان.

كذلك عمل مخرجا منفذا لفلم (حمد وحمود) من اخراج ابراهيم جلال.

ويعد الفنان الراحل واحد السينمائيين المبدعين ممن كانوا يحلمون بقيام سينما عراقية بديلة تتجاوز السائد والمألوف وتحلق عاليا في فضاءات من السحر والجمال والخيال وتغترف من الواقع المؤلم والمرير الكثير. ولعل مما عجل في رحيله عام ١٩٩٨ هو ما تكالبت عليه من فواجع وماس برحيل زوجته (ام سندي) وكذلك كريمته سندي تلك الطبيبة التي اتهمت بانها تقف خلف وفاة احد رجالات النظام السابق المهمة.

يذكر ان الفنان الراحل اعتقل في التاسع عشر من اذار عام ١٩٦٣ وقد اطلق سراحه في الثاني من ايار عام ١٩٦٣ بعد ان لم تثبت التهمة بحقه ولاحقا اشرف علي اصدار سلسلة بعنوان مختارات من المسرح العراقي – واذكر من بين المسرحيات التي نشرتها هذه السلسلة (جسمان ومظلة) للفنان سعدون العبيدي (سترة توصاه) اعداد جعفر علي (حسن افندي) لطه سالم (المدمن) لتوفيق البصري (زهرة السلطان) اعداد جعفر علي. بقي ان نذكر ان الفنان الراحل من مواليد عام ١٩٣٣ وفي محلة علاوي الحلة – بالقرب من سينما قدري – بغداد – ويعد واحدا ممن ارسوا دعائم المسرح الجاد والسينما والواقعية الجديدة وتصدوا بقوة وشجاعة للاعمال الهابطة الهزيلة ومن اجل فن حي اصيل يتوهج بالحب والحياة ويبدد العتمة.

في الذكري السنوية لرحيله – في السابع من شباط – الجماعات المعنية والمؤسسات الفنية مدعوة لان تحتفي به وتكرمه من خلال جلسات استذكارية او تنظيم زيارة لضريحه والتفكير باطلاق اسمه علي احد المعاهد او احد المهرجانات السينمائية المسرحية هذا بالاضافة الي جمع وطبع اثاره وتخصيص جناح لما تركه من افلام ومسرحيات وسيناريوهات واعمال تلفزيونية وكتابات متنوعة فهو بعض الوفاء لمن نذروا انفسهم للدفاع عن فن شعبي هادف ورفيع يقارع الجهل والتخلف وقوي الشر والظلام ومن اجل ثقافة وطنية بناءه وبديلة.

جعفر علي مع اديب القليه جي وعلي فوزي واخرين

دماء شابة

لقد وجدنا فيه الاستاذ الموسيقي المتفتح المبدع الساخر اللاذع، الجريء، الشجاع المفعم بالروح الوطنية والتقدمي في افكاره وطروحاته ومن هنا كان محط ارتياحنا واعجابنا، وبلا شك حينما تقدم لتأسيس فرقة مسرح اليوم ومعه نور الدين فارس ونجيب عربو والتي اجيزت في الرابع من اب عام ١٩٦٩ واختير رئيسا للفرقة تقديرا لمكانته وخبرته حتي بادرنا نحن مجموعة من الطلبة للانتماء اليها ورفدها بالدماء الشابة مع حرصنا علي الحضور يوميا للمشاركة في باكورة انتاجها (الغريب) للكاتب نور الدين فارس ومن اخراج الفنان الراحل جعفر علي والمسرحية تعكس اغتراب الانسان في مجتمع يتأكله الجشع والطمع والنزوات الشريرة واللاانسانية مثل الشخصية الرئيسة شدهان الذي جسدها الفنان

سيناريو اولي من اجل جعفر علي

د. طه حسن الهاشمي

المشهد الاول–عام ١٩٧٤ حديقة اكاديمية الفنون الجميلة عام ١٩٧٤

خيمة متوسطة الحجم علقت قطعة كارتون عليها مكتوب فيها(الخيمة ١٠١) مجموعة من الطلبة حوالي احد عشلر طالبا منهم الاردني علي الكايد والتونسي محمد والعراقي طارق الجبوري والعماني علوان قاسم نرى جعفر علي مقبلا من بعيد ويحمل بيده ملفا بقميص ابيض وبنطلون اسود وشعره يتطاير في الريح يصل الخيمة يتجمع الطلبة حوله يقول :ان دروسنا سناخذها في هذه الخيمة حتى تستجيب الجامعة لمطالبنا بتوفير الكاميرات واجهزة الاضاءة ومعمل الطبع والتحميض الطلبة يبتسمون

المشهد الثاني–عام ١٩٧٥ الحديقة الخلفية لاكاديمية الفنون الجميلة

حوالي ٢٠ طالبا يفتحون صناديق عملاقة ويخرجون منها مكائن واجهزة مكتوب على الصناديق اسم الشركة المصنعة:احد الطلبة يسأل الاستاذجعفر الذي يقف في وسط الطلبة العملين–استاذ لماذا لم نستورد اجهزة امريكية ؟لم الاجهزة المانية؟يرد الاستاذ جعفربثقة :الاجهزة هذه لا تتقادم بل ان اي تطور بالكاميرات او اجهزة المونتاج يمطن ان يضاف لاحقا فلا نظطر لرمي جهاز حتى نستخدم جديدا

المشهد الثالث عام– ١٩٧٦ احدى غرف الدراسة

مجموعة من الاساتذة يجلسون امام الطلبة منهم جعفر علي وهاشم النحاس وتوفيق صالح واميل بحري وهالبرانت البولوني وماليبان ولؤي القاضي جعفر علي يقول: هذه السنة اصبحت لدينا ثلاث مراحل من الطلبة طلبة الصف الثالث وطلبة الصف الرابع وطلبة الصف الخامس ولكن متى ما ينفك القسم من تبعيته لقسم المسرح ستكون الدراسة سينمائية بحته لان الطلبة يدرسون في الصف الاول والثاني فنون مسرحية اما خطة الفرع فهي ان يكون قسما مستقلا الدراسة فيه خمس سنوات ووصولا الى تاسيس كلية السينما والتلفزيون

المشهد الرابع–عام ١٩٩٦ غرفة رئيس قسم السينما ويجلس فيها مالك المطلبي الاستاذ الدكتور والاستاذ عباس الشلاه وطالب الدكتوراه الاستاذ المساعد طه جسن يقول مالك المطلبي موجها كلامه لطه حسن:هذه اول اطروحة دكتوراه في القسم ولي الشرف ان اكون مع الاستاذ الذي اجله جعفر علي مشرفين على مثل هذه الاطروحة ونري منك ان تكون حيويا في الفاع عن جهدك وجهدنا....يرفع جعفر علي راسه الاشيب ببطء ويقول قيما اغرورقت عيناه بالدموع:ماكنت احسبني سارى ذلك اليوم العظيم الذي يمنح درجة الدكتوراه في العلوم السينمائية وهكذا لن اشعر انني ميت ابدا

جعفر علي ..
حياً في العقل والقلب

البقاء لجعفر علي..الخلود لجعفر علي..السلام على روح جعفر علي... ..أصابني..وأصاب..الفن العراقي الأصيل..والثقافة العراقية الخلاقة، في شتى حقولها وفراديس إبداعها، جرح..ليس كالجروح التي تصيب الإنسان والتي سرعان ما تلتئم، بعد عام أو عامين أو عقد من السنين أو..عقود..إنه جرح من نوع آخر شديد العمق، بعيد الغور..مفرط الوجع.. بفقد واحدٍ من عمالقة فننا وثقافتنا.. واليوم..! ما أشد قسوة الأشياء من حولنا! اليوم يتوجب علينا، نحن أحبة جعفر علي وعشاق فنه..الناهلين من ينبوع ثقافته، أن ننزع القشور عن هذا الجرح الندي أمام بعضنا وأمام أنفسنا..عن هذا الجرح الذي لما يلتئم. وما أحسبه ملتئما..ذات يوم..ما العمل إذا بعض مظالم زماننا الذي لا يعرف الرأفة بناسه.

محي الدين زنكنه
اديب ومسرحي راحل

أحبتي..ثمة فواجع مفاجئة صاعقة، تخترق الإنسان حتى النخاع بصورة أكثر وجعاً وتدميراً وفداحة من الصواعق التي تضرب المباني الشوامخ والعمارات العملاقة.. فتهيرها..وتجعلها صفصفاً، أو أكوام حديد وأحجار محترقة.

وإذا كان العلم قد حصّن المباني والعمارات بما يقيها ويحميها من آثار الصواعق الكارثية ـ ولو بحدود ـ فأن الإنسان، هو الآخر، قد أخترع لنفسه ما يقيه ويحميه أيضاً..بيد أنه ليس في قدرة ذاك..ولا في فاعليته وقوته.. إذ هو لا يقي الواحد منا ولا يحميه إلاّ لدقائق، أو ثوان معدودات..وسرعان ما تصعقه الحقائق وتصفعه الوقائع..

وحين تلقيت فاجعة غياب صديقي وأستاذي جعفر علي، ورحيله الأبدي عن عالمنا صُعقت. ولكي أصمد أمام هول الصعقة، ولو مؤقتاً لبضع هنيهات أستعيد توازني النفسي والجسدي..

استنجدت بمانعة صواعقي الخاصة التي تخترعها القوى الكامنة في الكائن البشري ليستعين بها وقت الحاجة، وقت مواجهة الكوارث، إلا أني وجدتها قد انهارت قبل انهياري.. وتعطلت كلياً وفقدت كل فاعلية وجدوى من شدة الصدمة فاستغثت بخيط أمل أن يكون هناك خطأ. في هذا الخبر/الفاجعة. في هذا النبأ/الكارثة، هكذا هو حال الإنسان الضعيف الموشك على الغرق..في خضّم البحر الغاضب، الهائج، المائج، بلا حول ولا قوة.. يبتهل ويتوسل إلى القشة الهشة: ان.. أن كوني سفينة إنقاذ أو..أو في الأقل، لوح نجاة..ولكن بلا جدوى..فالكارثة حاصلة. والفاجعة واقعة..لا مهرب.. ولا فرار..ولا ملاذ.

كثيرون هم الناس الذين لا تعني حياتهم، وكذلك موتهم، شيئاً لأحد، حتى لأقرب المقربين إليهم، فان حياة متكلسة، معطوبة، تمتد وتتواصل، وتستمر، بين عويل الميلاد وصراخه.. وثم أفراحه واتراحه..وبين حزن الموت ونحيبه..لا تستأثر باهتمام الآخرين ..ولا تثير عدا سؤالاً واحداً، بريئاً أو خبيثاً..هل كان صاحبها حياً ذات يوم؟ أكان له وجود حقاً ؟

وقليلون هم أولئك الذين تتواصل حياتهم وتستمر، بعد غيابهم الجسدي عنها..بل تبدأ حياتهم، البداية الحقيقية الأقوى، الأكثر خصباً وثراء، والأكثر إثارة للأسئلة الحبلى الولود التي تظل تلد الأسئلة..وجعفر علي، أحد هؤلاء، القلة النادرة، الذين باتوا يقلّون ويندرون يوماً بعد يوم، في هذا الزمن البائس التعيس، الذي لا يقدّر رجاله الافذاذ.. ولا يعرف كيف يرعاهم..كما يرعى البستاني زهوره النادرة، بل ولا يتركهم على حالهم. ولا يوفّر لهم القدر الأدنى من الحرية للتفتح والإبداع.. ويظل يقتنصهم واحداً بعد الآخر..أو يقذف بهم خارجا..الى..الى المجهول.. بخيط أمل أن يكون هناك خطأ.

بيد أن جعفر علي النابت من الأرض.. الملتصق بترابها، المتشرّب حتى النخاع هواءها وماءها، الممتلئ بها وبحبها بكل مسامات الجلد وفضاءات الروح، المثقف والمفكر الشجاع، المقاتل والمحارب، بالكلمة..

إذا كان العلم قد حصن المباني والعمارات بما يقيها ويحميها من آثار الصواعق الكارثية ـ ولو بحدود ـ فأن الإنسان، هو الآخر، قد أخترع لنفسه ما يقيه ويحميه أيضاً..بيد أنه ليس في قدرة ذاك..ولا في فاعليته وقوته.. إذ هو لا يقي الواحد منا ولا يحميه إلاّ لدقائق، أو ثوان معدودات..وسرعان ما تصعقه الحقائق وتصفعه الوقائع.. وحين تلقيت فاجعة غياب صديقي وأستاذي جعفر علي، ورحيله الأبدي عن عالمنا صُعقت. ولكي أصمد أمام هول الصعقة، ولو مؤقتاً لبضع هنيهات أستعيد توازني النفسي والجسدي..

أدعياء العظمة التافهين المستغلين المنتفعين.. هاملة زوجها..الطبيب العالم المتفاني في سبيل المرضى، الذي يعمل ليل نهار في خدمة العلم وانقاذ الناس من الأمراض الفتاكة، بنكران ذات. ويدفعه فرط إنسانيته وإيمانه بعمله أن يمتصّ صديد الدفتريا وجراثيمها من حلق صبيّ موشك على الموت فينقذه من موت محقق ويكتب له حياة جديدة، مضحياً بحياته بلا تردد، فيقول عنه أحد أصدقاء أولكا.. كلمة صدق وحق ((لقد كان على خلافنا جميعاً..رجلاً عظيماً، ممتازاً .نفس من البلور الصافي . كان يخدم العلم و ضحّى في سبيل العلم أه..ما أفدح خسارة العلم فيه.." لقد مضى العالم العظيم.. "ديموف" مجهولاً حتى من قبل زوجته، طاوياً عظمته في نفس كبيرة سامية تأبى الادعاء أو الدعاية الرخيصة. والإعلان التجاري النفعي ..وترفض الرخص..والابتذال..

و"أولكا ايفانوفا"هنا ليست الزوج حسب، وليست المرأة أو الرجل فقط. انما هي الواقع في ترديه نحو الهاوية، إنما هي المجتمع في غبائه المستشري..هي العصر النفعي البرجماتي في تعامله..هي الزمان الرديء والمكان السيء..فمتى..ننتبه إلى ذلك.. ونتخلص من"أولكا"ولا نظل ننددب"ديموف"..ولا نتحسر على جعفر علي..ولا نصرخ..آه يا جعفر علي ما أفدح خسارة الفن فيك..ما أفدح خسارة التعليم فيك..أيها البللور الصافي..النقي..الشفاف..

وحيداً لجعفر علي، الخلاّق الأمهر، الذي سرقه منا الزمن اللص..مبكراً جداً.. وهو في قمة العطاء..وأوج الإبداع.. و..آملاً..الاّ يسلبنا..وفاءنا له.. ولتراثه الثري.. ولتأريخه المجيد. بذلك نصون جعفر علي..وندعه يحيا بين ضلوعنا..وفي عقولنا..ولن تغيب شمسه فينا.

١٤/٣/١٩٩٨ / بغداد

في آذار ـ ١٩٩٨ ـ أقامت دائرة السينما والمسرح، حفلاً تأبينياً بائساً فقيراً لواحد من أكبر رواد السينما والفن في العراق، وأغناهم فكراً وإبداعاً وخلقاً وعطاءاً هو جعفر علي، الأستاذ الأكاديمي المرموق، والمخرج الفنان الأمهر. والمثقف الموسوعي الكبير . وقد دعي إليه كاتب هذه السطور، فتحدث عن صديقه الحميم الراحل المقيم.ثم جمع مراسل جريدة "الجمهورية" الكلمات التي ألقيت في الحفل ونشرتها ما عدا هذه الكلمة. التي لم تنشرها ولم تعدها اليّ على الرغم من المطالبات العديدة بها. فلم أجد بدّاً من العودة الى "المسوّدات" المكتوبة على قصاصات متفرقة أجمعها ثانية وأنشرها هنا اعتزازاً بالفقيد ا لغا ئب ا لحا ضر أ بد اً و تسا ؤ لاً عن سبب امتناع جريدة عن نشرها. وأيضاً توضيحاً بأن هذه الكلمة قد تكون مختلفة بعض الاختلاف البسيط عن تلك التي ألقيت في الحفل..ولكنها تحتفظ كلياً بروحها ونهجها..بلا تغيير ولا تبديل سوى بضع كلمات ممسوحة لم تعد قابلة للقراءة، بعد هذه السنوات الطوال.

(١)في مسرحية"فيت روك" لبيتر بروك..التي كانت صرخة قوية ضد الحرب القذرة في فيتنام..وقد أبدع جعفر علي أيّما إبداع في إخراجها وقيادة تلك المجاميع الكثيرة من الممثلين والممثلات..ولعلّها المرة الأولى التي يشاهد فيها الجمهور مسرحية احتفالية بهذه الضخامة..وبهذا القدر الخلاق من الغنى والتنوع..لقد كانت بحق مسرحية رائدة بكل ما فيها.. من الرؤية الإخراجية العميقة إلى التمثيل الجماعي المثقف (عشرات من طالبات وطلاب أكاديمية الفنون الجميلة) ممن يتعامل معظمهم للمرة الأولى مع المسرح..أمام هذا الجمهور الغفير، وفي هذا الفضاء الشاسع المفتوح (قصر الأخيضر) وقد وضع لها الراحل الكبير..أغاني وألحاناً في غاية الروعة والجمال والابداع.. وفجّر تلك الحناجر الشابة، التي لم تمارس الغناء من قبل..بألحان كورالية متناسقة ومتناغمة..ورددت آثار الاخيضر وأطلالها المهملة والمتروكة والمنسيّة..صدى الأصوات الشابة العذبة التي تصدح بأغانٍ في غاية الروعة والكمال..

وفي مهرجان الأغنية السياسية.. الذي أقيم انتصاراً لشعب شيلي في مواجهة الفاشية الجديدة للعقداء السود..وضع فقيدنا أكثر من لحن.. وأغنية مثلما وضع ألحان سائر أغاني مسرحية "السؤال" لكاتب هذه السطور..وكانت مثار إعجاب الجمهور العريض الذي كان يتسابق على الحضور.

(٢) بخصوص مسرحية "السؤال" التي أستغرق الاستعداد لها..وعرضها شهوراً عدة..كنا خلالها في لقاءات شبه دائمة.. لا بد لي من تحفيز الذاكرة وتنشيطها لاستذكارها..والكتابة عنها ذات يوم.

عن مجلة شانو

الأجلاء من الذين ثبتوا.. قلمي وعقلي وقلبي..في طريق الفن..الفن المناضل المكتوي بنار الصدق..الباحث بمصباح ديوجين في دياجير النهار، قبل ظلمات الليل. عن الإنسان . الفن الحافر بأظافر دامية في الصخور في بحر الحياة والجبال .. ليفجرها ينابيع للحياة، متدفقة بحب الناس، حبّ الشعب، حدّ الاستشهاد في سبيله..والسعي الدائب لتحقيق غده الأرغد في وطن ينعم.. بالحرية والسعادة..

أيها الأخوة..لست بصدد الحديث عن كل ذلك..فقد يكون لهذا الحديث وسواه كثير .. وكثير جداً. وقت آخر..ومكان آخر، إمّا معه، هناك، حيث شتلناه قبل أربعين يوماً. أو هنا..حيث فرغت حديقة الحياة من أكبر دوحة..وأزكى عطر تبثه في ثنايا أجمل زهرة..

إذا كان الرجل العظيم هو من يعطي أكثر مما يأخذ، ويهب أكثر مما يكسب، ويضحّي أكثر مما ينال، ويزهر أكثر مما يقطف، ويزرع أكثر مما يحصد.. فأني أشهد وأشهد وأشهد معي الكون. بأن جعفر علي قد أعطى دون أن يأخذ. ووهب وأزهر وشع دون أن يطمع أو يفكر في مكسب..في ترفع وزهد..لا مثيل لهما. أني أمامكم، وأمام التاريخ، وبمسؤولية ضميرية وتاريخية.. أقول إن جعفر علي أحد العظماء الذين أختطفهم منا الزمن الغادر.. وسرقهم بلا حياء ولا خجل..

في قصة قصيرة لتشكوف ثمة سيّدة تدعى " أولكا إيفانوفنا" مهووسة بالعظماء والمتميزين والمبرزين في المجتمع..فتحيط نفسها بحفنة من والصورة..والموقف..والتماعات الفكر الوقاد واشراقاته..ضد التفاهة والزيف والرخص في الفن والسلوك والحياة..سيظل الفنار الذي تهتدي بأنواره، إلى مرفأ الأمان والعطاء سائر السفن المبحرة في بحر الحياة والفن الأكثر لجباً وصخباً، والاعمق متعة وإبهاراً، بحر الفن الإنساني اللامحدود واللامتناهي..متزودة ببوصلة مسيرتها، ناهلة من النبع الصافي الثري، هادياً السائرين في درب المخاض الطويل، المحفوف بالآلام والمخاطر والأوجاع..ولكن، وفي الوقت نفسه، والمبشّر بالميلاد الجديد المترع بالحياة، المستقدم للغد الأفضل..والمستقبل الأرغد..

أيها الأحبة..لست هنا بصدد الحديث عن جعفر علي، الفنان الشامل.. السينمائي المسرحي. الموسيقي(١). المخرج..المبدع الخلاق في كل تلك المجالات..ولا عنه باعتباره المعلم الأصيل والأستاذ الأكاديمي، ذا الثقافة الموسوعية الشاملة..الذي لم يسعفني الحظ أن أكون أحد تلامذته على مقاعد الدراسة والتعلم..ولكن.. الزمن البخيل في كل شيء، وعلى خلاف عادته معي. قد حباني، برفقة طويلة..امتدت عقوداً، بلا انقطاع، منذ مسرحيتي" السؤال (٢) "عام ١٩٧٦، التي منحها الحياة على خشبة المسرح، وفي أفئدة الجماهير وعقولهم.. وأنا لما أضع بَعدُ قدمي على طريق الخلق والإبداع...

بالفخر كله..والاعتزاز كله..أقول أن جعفر علي هو واحد من أساتذتي

مشاركاتي في الأفلام السينمائية.. المنعطف

سامي عبد الحميد

لا ادري ما الذي دعا المخرج الراحل(جعفر علي) لان يعهد لي بتمثيل دور رئيس في فيلمه المقتبس عن رواية غائب طعمه فرمان (خمسة أصوات) حيث لم تكن علاقتي وثيقة بالراحل آنذاك عندما قررت(شركة الأفلام الوطنية إنتاج الفيلم أوائل سنة ١٩٧٥ ولكن ربما اعتقد بأنني انسب ممثل لتمثيل ذلك الدور أو لان الصديق يوسف العاني وكان له في الفيلم دور رئيس أيضاً هو الذي حث المخرج على إشراكي في الفيلم. ولا ادري أيضاً لماذا اختصر (جعفر علي)

شخصيات الرواية (الخمس) وجعلها(ثلاثة) مثلناها أنا ويوسف العاني وطعمة التميمي.ربما أراد تقليل كلفة انتاج الفيلم أو ربما لم يجد في الشخصيتين الأخريين فعلاً دراميا مثيراً.

كنا نصور مشاهد الفيلم في احد البيوت القديمة في محلة من محلات بغداد الشعبية وهي البيئة المناسبة لحياة الشخصيات المثقفة ومن الطبقة الاجتماعية الوسطى. وكانت الأمور تسير بشكل سلس وكنا ننجز تصوير مشاهد عديدة في اليوم الواحد حيث كان مدير التصوير(نهاد علي) حاذقا في توظيف الكاميرا و التقاط الصور مع إن ما بيده من أجهزة وأدوات بسيطة جداً ورخيصة جداً ومثالها تلك (البروجكتورات) التي صنعها بيديه . وكنت أتحمس لسهولة العمل وسرعته ولم أتوقع ان تكون النتائج ضعيفة ويبدو لي أن استسهال العملية الإخراجية من قبل الراحل جعفر علي وحرفية المصور نهاد علي كان لها دور كبير في تسهيل العملية والتي لم تكن نتائجها الفنية مرضية لنا حيث كنا نتمنى ان يظهر الفيلم بمستوى روعة رواية غائب طعمة فرمان وتداخل أحداثها وتنوع شخصياتها واختلاف صراعاتها وعمق معالجاتها مع هذا فقد نال الفيلم عند عرضه نجاحاً وإقبالاً جماهيرياً واسعاً.

عندما تولى الأستاذ الراحل (حقي الشبلي) إدارة مصلحة السينما والمسرح وضع خطة لإنتاج عدد من الأفلام السينمائية تتولى تنفيذها دائرته. وكان أول إنتاج على وفق تلك الخطة فيلم (الجابي) الذي أخرجه (جعفر علي) ومثل الدور الأول فيه (اسعد عبد الرزاق) وتناول قصة رحلة محصل التذاكر في حافلة نقل الركاب من الصباح حتى المساء وتعقيدات تلك الرحلة ومشاكل (الجابي) مع الركاب كان ذلك عام ١٩٦٩ وبعد ذلك أنتجت المؤسسة فيلم (شايف خير) لمحمد شكري جميل أواخر عام ١٩٦٩،وفي عام ١٩٧٠ ، أنتجت فيلم (جسر الأحرار) إخراج ضياء البياتي وفي عام ١٩٧٢ ، استبدل عنوان المصلحة بعنوان آخر هو المؤسسة العامة للسينما والمسرح) وأنتجت فيلم(الرأس) من إخراج فيصل الياسري عام ١٩٧٦ ، ثم(بيوت في ذلك الزقاق) للمخرج قاسم حول عام ١٩٧٧ و(النهر) للمخرج فيصل الياسري عام ١٩٧٧ وفي العام نفسه أنتجت (التجربة) من إخراج فؤاد التهامي وفي عام ١٩٧٨ ، أنتج (يوم آخر) من إخراج صاحب حداد.

في عام ١٩٧٩ ، أنتجت المؤسسة فيلم (الأسوار) اعد السيناريو عن رواية لعبد الرحمن الربيعي وأخرجه محمد شكري جميل وقد عهد إلى المخرج دور البطولة في الفيلم وكان التصوير يجري في مواقع عديدة في (السوق والأزقة و البيوت والمواقف) وكنت بيومها امثل دوراً رئيساً في مسرحية فيصل الياسري (رحلة في الصحون الطائرة) مع صديقي الراحل (قاسم محمد) وكنت اذهب صباحاً إلى بعقوبة لتصوير مشاهد الفيلم وأعود مساءً إلى بغداد لأشارك في عرض المسرحية وبعد ان ينتهي العرض كانت هناك سيارة تنتظرني لتنقلني مرة أخرى إلى بعقوبة وهكذا.

وهنا وفي هذا الفيلم (الأسوار) لابد لي من وقفة لأذكر حادثة خطيرة مرت بي أثناء تصوير الفيلم في مشهد أتعرض فيه إلى الذبح من قبل رجال الأمن وأنا جالس في كرسي الحلاقة الدوار أراد المخرج (محمد شكري جميل ان يصوره) والكرسي يدور فيّ وبعد ان انتهى التصوير حاولت ان اترك الكرسي شعرت وكأنني أتهاوى باتجاه المرآة أمامي ثم إلى الخلف والى الجانبين وكنت اصرخ بالعاملين ان يمسكوا بالكرسي معتقدا انه ما زال يدور في حين ان حركته الدائرية قد توقفت وبعد دقائق أحسست بقليل من الراحة وتوقف الدوران أخذوني الى مستشفى بعقوبة وهناك شرحت لي إحدى الطبيبات سبب تلك الحالة وهي الاختلال في ماء الاذن وعندما عدت من المستشفى طلب المخرج ان يعيد تصوير المشهد وفي البداية رفضت بإصرار ولكنه أقنعني بان مثل تلك الحالة لن تتكرر ولكنها تكررت وبشكل اعنف.

جعفر علي مؤسس السينما العراقية

مع فاضل خليل في كلية الفنون الجميلة

تحقيق اعده:
علي حمود الحسن

مرت ذكرى رحيل احد رواد السينما العراقية جعفر علي، الذي مات كمدا في طابور لتسليم الادوية المزمنة، جعفر علي مؤسس قسم السينما سابقاً والسمعية والبصرية لاحقاً، اخرج اهم فلمين في تاريخ السينما العراقية هما الجابي والمنعطف، كتب واخرج الكثير من المسرحيات المتاخرة اصلاً لهموم الناس ناهيك عن كتابه المهم فهم السينما الذي ترجمه بسلاسة وتشويق، ليصبح واحدا من اهم المراجع التي يعتمد عليها طلبه قسم السينما في معهد وكلية الفنون الجميلة، كان المرحوم مدرساً تربوياً فذا لايجامل، مثقفاً ثقافة سينمائية نظرية وعملية، لم يكن يبخل على تلامذته بعلمه الغزير، فهو يحمض وينتج ويشتغل على افلام تلامذته، كأي عامفي ل مختبر وفي نفس الوقت كان الاستاذ المهيوب الذي يوجه ويعلم ويشرف على البحوث والاطاريح، لم يكن بعثياً مما سبب له الكثير من المشاكل التي هدت نفسه الجميلة، لكنها لم تحبط عزمه في اداء رسالته لان همه العراق والانسان العراقي، ولان السينما في معتقده اداة لتطوير المجتمع، فقد راح جعفر علي يسابق الزمن لبناء ركائز صلدة لارضية.

" كان جعفر علي رسالة رائعة للاجيال اللاحقة "

تجولنا في القسم الذي اسسة المرحوم جعفر علي والتقينا الدكتور جاسم الصافي ليحدثنا عن استذكارته قائلا:

جعفر علي اي استذكار جميل شكرا لالتقاته " الصباح " هذا الموضوع يعود بي الى ١٩٨٠ ، كان المرحوم رئيس قسم السينما، يقدم المواد العلمية النظرية والعملية بشكل فيه الكثير من الرقي بالمناهج معه كنت اتي بالطلبة(السمعية والبصرية) ونذهب بهم الى التلفزيون التربوي حيث يطلع الطلبة بشكل عملي على خطوات العمل السينمائي.. وفي تقديري كان عام ٨٠ ـ ٨١ الفترة الذهبية للطلبة، فالاستاذ جعفر علي يعطي دروسه النظرية ثم يطبق ذلك في المختبرات التي أنشأها ، تصور كان يحمل حزمه من المفاتيح(اليوم المختبرات هي اطلال ، والموفيولات سكراب) وهذا يفسر ان هؤلاء الطلبة الذين تدربوا في مختبرات جعفر علي استطاعوا ان يحصلوا على الشهادات العليا وهم اليوم اساتذة اكفاء.

حينما يذهب جعفر علي في النادي في المهرجانات في الشارع دائما يكون القطب الذي يستقطب الاساتذة والطلبة والناس كان المرحوم رسالة للاجيال التالية.

جعفر علي يجمع بين الخبرة النظرية والتدريس والعمل السينمائي "

مازالت خطواتنا تجوب المكان.. وكان طيف المرحوم جعفر علي حاضراً، طاغياعلى المكان الذي بناه بجدية وصدق شديدين.. في غرفة الاساتذة التقينا الدكتور طاهر عبد مسلم السينتمائي والباحث ورئيس جمعية سينمائيون بلا حدود، وشاركنا استذكار المرحوم جعفر علي قائلا:

الراحل جعفر علي يحق له علينا ان نستذكره ، وان نتوقف عند البصمات التي تركها عندما انشئ قسم السينما، ولاحقا السمعية والبصرية.. ان اجيالاً باكملها قد تخرجت على ايدي هذا الرائد الكبير، الذي كانت له مميزاته الخاصة في كونه مبدعاً يجمع بين الخبرة الاكاديمية والتدريس والعمل السينمائي من خلال الافلام التي اخرجها او شارك في انجازها...

ما استذكره عن استاذي جعفر علي، اني كنت في يوم من الايام قد انجزت مادة بحثية.. كان اللقاء الاول بيننا نظر الى الافق البعيد ثم قال سيكون حواراً طويلاً بيننا، في هذه الفترة كنت طالباً في السنة الاولى.

عن ذكرياتي الخاصة قدمت انا ومجموعة من المدرسين لنقل خدمتنا الى الاكاديمية.. عندما اطلع على الطلبات قال انني اختارك لانك الاكفأ ورفض الباقين على مؤهلاتهم الحزبية والمصوبية.. علما انني كنت منتمياً لحزب سياسي غير حزب البعث.. وقد تحمل ما تحمل من هذا الموقف لكن كان فناناً وانساناً نبيلاً.

المخرج سعد نعمة احد التلاميذ المحبين والمخلصين للفيم الابداعية الفنية والتربوية التي ارساها جعفر علي حدثنا طويلا عن ذكرياته ما الذي استذكره عن استاذي ومعلمي ، منذ لحظة الاختيار الاولى ، كنت قلقا أتصبب عرقا ، حاول جعفر علي وكان رئيس لجنة القبول ان يخفف عني فقال :

أهدأ ياعزيزي انه اختبار ، حتى لو لم تقبل فهذا لايعني نهاية العالم .

قلت له : استاذ انا جئت لأقبل فقد اتشرف واكون تلميذك وكانت بداية صداقة الى حد رحيله المفجع .

لم يكن استاذا تقليديا ، يعطي لنا دروسا بعيدا عن المنهج في العطلة ، مطعما محاضراته باستقدام محاضرين في علوم اللغة واللسانيات .. ومختصين بتقنية الفيلم ، فمثلا كان يدرسنا د. مالك المطلبي ومحمد شكري جميل وحاتم حسين ، وحينما يداعبونه بان المسألة لاتستأهل كل هذا التعب يجيبهم بابتسامته الرائعة نحن نصنع سينما .

ليتسلم دواء الامراض المزمنة وحينما يسقط يؤخذ الى الطب العدلي..

وحينما ذهبت من الجارية الى الطب العدلي لاجد الدكتور ماجد الخطيب والدكتور اسماعيل خليل.. وكنت وانا استلم جثمان لم اجد صورة له كي نعلقها على التابوت.

كانت ايامه الاخيرة توحي بموت بطئ فقد بدأ يفقد كل شيء فزوجته قتلها متهور في نفق الشرطة.. وابنته الدكتورة قد ماتت هي الأخرى.. اما حبيبته وابنته العزيزة السينما فكان يشاهد موتها البطئ.. كان حزنه كبيراً..

كان جعفر علي يزرع الامل رغم كل شيء الحصار والدمار.. كان يقول صوروا بالفيديو.. المهم المعالجة هي الاساس ..صورتا افلام" ف. ج. س "

اذكر وكنت محرر في احدى الصحف اعددنا والزميل صفاء جنكور ملف عن جعفر علي.. ولكن جاء الرفض من رئاسة التحرير في حين عندما توفى المخرج الايطالي فليني وافق رئيس التحرير على ذلك فوراً.

استذكر المخرج والناقد السينمائي حسين السلمان لمرحوم جعفر علي

الفنان جعفر علي واحد من اهم الفنانين العراقيين، الذين تركوا اثراً لاينسى على تاريخ الفن السينمائي والمسرح العراقي، هذا الرجل يحتاج الى تسليط اضواء كثيره عليه، لانه غبن كثيراً وهمش كثيراً، رغم الامكانية الفنية والادبية التي يتمتع بها، فهو مخرج سينمائي ومسرحي ومترجم واستاذ اكاديمي وصاحب موسوعة معرفية بالثقافة والادب.. واحد من افلامه هو الجابي الذي كتبت عنه كثيراً عن هذا الفيلم والجابي استطاع ان يلخص الهم العراقي والمشاكل الاجتماعية في هذه الشخصية المنفردة، هذا الفيلم جسد قدرة وامكانية هذا الرجل.. وجعفر علي تأثر كثيراً بافلام الواقعية الايطالية.. الا انه حاول ان يجد سمه دالة للسينما العراقية.

من هنا يمكننا معرفة الأهمية التي يعنيها المسرح في نفس جعفر علي. ومثلما قدم للسينما الكثير، كذلك قدم الكثير للمسرح.

لقد ظهر جعفر علي في واحدة من اهم المراحل الثقافية التي مر بها العراق والمنطقة صعوبة، حيث كان الغزو الثقافي الجميل في قمة ألقه يقيم ظلاله الوارفة على العراق والمنطقة. فالثقافة الوافدة المحفزة لأن يكون للمعراقيين ثقافتهم الخاصة في أوجها شكلت حافزا على عموم المثقفين العرب وفي مقدمتهم العراقيون مع قليل من الخوف يشوبه الحذر، وان شئت اعكسها لتصبح، الحذر المشوب بالخوف، لكنه خوف غير مصحر به، فستينيات القرن الماضي شكلت انعطافة خطيرة على كامل الجيل من تلك المرحلة، نتيجة الأحداث الكبيرة التي مرت بهم وقتذاك، ان الذي مر بها جيل ماقبل تلك المرحلة مترددا، من احتمالات العدوان على العراق، بسبب خطورة قرار من هذا النوع.

من هنا انطلقت في انحيازي الى المبدع جعفر علي باعتباره، وطنياً مسكوناً بحب العراق، إضافة الى كونه مبدعا متعدد المواهب، موسوعياً، كاتباً، شاعراً، يجيد الترجمة، إضافة الى كونه المخرج السينمائي والمسرحي، والرسام والمؤلف الموسيقي، والعازف، والتدريسي، والاداري، والمصمم الذي صمم كافة مناظر المسرحيات التي قدمها واشرف بدقة على تنفيذها.بالاضافة الى صفاته الخاصة فهو يتمتع باللباقة، وهو المرح، الساخر، الذكي بلا حدود، المفكر، القائد، المنظم، المتواصل مع العالم، المتفتح، الشجاع، المتحايل على الظرف الصعب، المتباهي بالوطن-المسكون بالعراق، العراق الذي مات في حبه.

ينطلق جعفر علي من اعتبار، أن الكاميرا صورة مجازية للعين، والعين صورة مجازية لرؤية الفنان الكونية والشعرية، هذا الفهم المتقدم للعمل والحياة، جعله يتعامل مع السينما في كونها اللغة الأكثر شجاعة وايصالا لأفكاره في ايصال الحقيقة، وفي مقارعة ما يستجد عنده من خصوم، هكذا راق لي ان تكون البداية في الكتابة عن جعفر علي، أي من مكانة السينما التي أحبها كثيرا، وناضل من أجل أن تكون مؤثرة في العراق، ولو بالإمكانات المتواضعة غير المشجعة، فصنع وبالإمكانات البسيطة أول فيلم انتجته الدولة-السينما والمسرح-وهو فيلم (الجابي)، وأسس للسينما والتلفزيون أول قسم علمي في أكاديمية الفنون الجميلة هو (قسم السمعية والمرئية ١٩٧٣)، طامحا في يوم من الايام أن يكون القسم معهدا عاليا للسينما يرفد العراق بالكوادر العلمية

جعفر علي عراب السينما العراقية

فاضل خليل

ينطلق جعفر علي من اعتبار، أن الكاميرا صورة مجازية للعين، والعين صورة مجازية لرؤية الفنان الكونية والشعرية، هذا الفهم المتقدم للعمل والحياة، جعله يتعامل مع السينما في كونها اللغة الأكثر شجاعة وايصالا لأفكاره في ايصال الحقيقة، وفي مقارعة ما يستجد عنده من خصوم، هكذا راق لي ان تكون البداية في الكتابة عن جعفر علي، أي من مكانة السينما التي أحبها كثيرا، وناضل من أجل أن تكون مؤثرة في العراق، ولو بالإمكانات المتواضعة غير المشجعة، فصنع وبالإمكانات البسيطة أول فيلم انتجته الدولة-السينما والمسرح-وهو فيلم (الجابي)

يدخله خانعا، ضعيفا كونه مجالاً آخر غير عالمه، بل يتضح أنه كان متسلحا لأن يكون واحدا من قاماته العالية، وبكل جدارة، وفهم، ودراية. دخله بقوة، أسس له (فرقة مسرح اليوم)، التي وقفت بتحد أمام اهم الفرق المسرحية العاملة آنذاك من أمثال: فرقة المسرح الفني الحديث، والفرقة الشعبية، وفرقة ١٤ تموز، وسواها من الفرق التي ساهمت في تأسيس وبناء الحركة المسرحية العراقية.

كان يندر ان تجد بين الفنانين مثقفا بجلال وجمال، جعفر علي، اذا ما فكر الفنان ان يخوض غمار تلك الزحامات القاسية لابد له من ان يتنازل عن بعض فنه ليماهي بين الفن والثقافة النقية، ولنا من الامثلة في ذلك الكثير يقف على رأس القائمة جاسم العبودي ولن تنتهي بقاسم حول وفاروق اوهان. وعليه فان جعفر علي تألق في بحر موجة الثقافات التي ساهمت في تكوين المثقف العراقي بشكل عام ومنهم الفنانون على مختلف مشاربهم الفنية من تشكيلية الى مسرحية وسينمائية وغيرها، في تلك الفترة كان اكثرها تخلقا فن الدراما التلفزيونية التي استفزت جعفر علي فسعى للنهوض بها كي يوازيها ببقية الثقافات والفنون. لقد اشير في هذه المرحلة-الستينيات والسبعينيات وما تلاها من سنين نشاط جعفر علي- الى ان جعفراً واحد من أهم المثقفين الذين امتهنوا الثقافة بمختلف توجهاتها، فهو في السينما والتلفزيون والمسرح الذي بالإمكان ان نضعه في المقدمة من الاسماء التي لمعت في المسرح وكان لها شأن فيه يخشاه فيه اساطين وكبار الأساتذة في فن المسرح، وكان له الرأي الفصل اذا ما اختلف في قضية مسرحية فيه اثنان، وكما في المسرح هو كذلك في بقية الفنون، فهو في جميعها يمتلك الريادة، وأضف عليها اهتماماته التخصصية في التأليف والترجمة وكتابة الشعر والصحافة، ولا، لن يفوتني ان اذكر انه من المؤلفين الموسيقيين وعازف ماهر لآلة البيانو والآلات اخرى، ولعل الدليل الاهم في هذا ألحانه أغاني مسرحية (فيت-روك) ومسرحية (أين تقف) وتدخله المؤثر على مجمل أعماله الفنية في مختلف المجالات. كنا نلمس فيه مميزات المرحلة التي تمر بها الثقافة العالمية، كنا نجدها أمامنا في جعفر علي، ولذلك كثر الشباب الذي احاط به، كان هو المجيب عن تساؤلاتنا في اين نحن الآن من الثقافة في العالم التي كان هو متواصلا معها من خلال متابعاته التي لا تنقطع مع الثقافة العالمية، كان يتابع الجديد من خلال وسائل الاعلام والنشريات والدوريات بمختلف لغاتها-كان يتميز بإتقانه لأكثر من لغة، على رأسها اللغة الانجليزية بجدارة، قراءة وكتابة- كنا نتحلق حوله بكل صدق لمعرفتنا بما يملكه لنا من جديد كطلبة من ذوي التطلعات في ما يجري من جديد في العالم، وكان هو السباق في تقديم الجديد من المضامين الانسانية والاشكال، في الفن العراقي، وهل يمكن ان نتناسى موقفه من قضية فيتنام وحربها الضروس مع امريكا، أو موقفه من القضية الفلسطينية، ومواقفه الوطنية التي جسدها في اعماله مثل موقفه من قضية تأميم النفط العراقي.. وغيرها ان ما تركه فينا من آثار هامة في الفن والحياة نحن طلابه، الذين أستفدنا منه كثيرا، وأفدناه قدر استطاعتنا، كان اول من جعلنا نتعامل مع العمل الفني كما البحث العلمي منه الى الممارسة القريبة من الهواية فقط. كان لديه الكثير من الطموحات التي لم تتحقق، يقف على رأس تلك الطموحات، (أن يتحول قسم السمعية والمرئية، الى كيان أكاديمي قائم بذاته، وليس قسما في كلية).

ومن طموحاته (تأسيس ستديو للسينما والتلفزيون) يكون بديلا عن استديو بغداد الذي أغلق ابوابه قبل ان تحقق السينما العراقية طموحاتها.

مع المخرجة فردوس مدحت

صورة البطل الشعبي في فيلم المنعطف

لجعفر علي

عدنان حسين أحمد

قبل الولوج إلى التفاصيل الدقيقة لفيلم " المنعطف " من إخراج جعفر علي، وتمثيل يوسف العاني، طعمة التميمي، سامي عبد الحميد، سميرة أسعد، سعاد عبد الله، زكية خليفة وآخرين، لابد من التوقف عند رواية " خمسة أصوات " للكاتب الروائي غائب طعمة فرمان التي أعدّها كل من الشاعر والسيناريست صادق الصائغ ونجيب عربو وحوّلاها إلى سيناريو فيلم حمل اسم " المنعطف " الذي أنجز عام ١٩٧٥ بينما رواية غائب كانت قد صدرت عام ١٩٦٧، وهي تتحدث عن حقبة الخمسينات من القرن الماضي. ومن الطبيعي أن يضفي مُعِدّ النص لمساته الفنية على المادة الخام، ويطوّعها بما يخدم الفيلم بوصفه نصاً بصرياً. يا ترى إلى أي مدى استطاع المُعِدّان أن يحافظا على روح النص وأمانته العلمية على الأقل من الناحية التاريخية، والالتزام بالأبعاد الفكرية لكاتب النص، وعدم " تجييرها " لمصلحة حزب سياسي محدد حتى وإن كان وطنياً. فالمعروف عن غائب طعمة فرمان، وهو الروائي " الأكثر شهرة، والأوسع انتشاراً في صفوف قراء عراقيين من مختلف الاتجاهات السياسية رغم الإرهاب الفكري آنذاك " كما يذهب د. زهير شلبيه في مقاله الموسوم " الإخلاص للنص الإبداعي وحده ". وحقيقة الأمر أن فرمان ليس شيوعياً، ولم يكن لسان حزب سياسي معين، بل كان يسارياً، وديمقراطياً، ووطنياً بامتياز، والأهم من كل ذلك أنه كان يكتب نصاً إبداعياً يتوافر على شروط نجاحه الفني الأمر الذي أكسبه مزيداً من القراء في الوسط الثقافي العراقي الذي يتألف من أغلبية يسارية متفتحة. ومما لاشك فيه أن عمله كمحرر في صحيفة الأهالي الناطقة بلسان الحزب الديمقراطي الوطني قد أكسبه خبرة واسعة وعميقة بالمحمولات السياسية والاجتماعية والثقافية لمختلف شرائح المجتمع العراقي، خاصة وأن الصحيفة قد أسندت إليه باب الرد على رسائل القرّاء وأسئلتهم الشائكة. نخلص إلى القول بأن فرمان لم يكن متحزباً لتنظيم سياسي معين، كما لم يكن بوق دعاية لهذه الجهة السياسية أو تلك، وأن وجود بعض الشخصيات المتحزبة في أعماله الروائية ليس دليلاً دامغاً على شيوعيته، وحتى في " خمسة أصوات " لا تطل علينا أية شخصية شيوعية متحزبة باستثناء " محسن " السجين السياسي الشيوعي الذي نعرفه من خلال رسائله إلى الصحفي " سعيد ". المشكلة في إعداد هذا النص الروائي الذي يعالج الإشكالات السياسية والاجتماعية والثقافية في فترة الخمسينات قد رُحلت دلالته الفكرية لأسباب دعائية محضة، وإلا فما هو الداعي لأن يستهل المخرج فيلمه بخطاب مباشر للرئيس العراقي الأسبق أحمد حسن البكر وهو يعلن تأميم عمليات شركات نفط العراق المحدودة في الأول من حزيران عام ١٩٧٢؟ هل تعرّض مُعِدّا النص إلى ضغوط سياسية، أو ابتزاز فكري من قبل أزلام النظام السابق بحيث وافقا على زجّ هذا المفتتح الفج لرواية تعالج هماً وطنياً لا يناسب عملاء، مكشوفين مثل أدعياء النظام البائد؟ لاشك في أن هناك " ترغيباً وترهيباً " نعرفه " نحن العراقيين على وجه التحديد " ولكنه أفضى بالنتيجة إلى تزوير حقيقة تاريخية ربما تمر على " غير المُدقّقين " من الأجيال اللاحقة، أو أنهم لصقوا هذه المقدمة الزائدة كي يمرروا هذا الفيلم من دون التعرّض إلى متاعب ومنغصات قد تحول دون ظهور هذا الفيلم إلى الوجود.

البنية البوليفونية

تعتمد رواية " خمسة أصوات " على بنية بوليفونية، أو على تعدد الأصوات كما هو الحال في البناء السمفوني بحيث يمثل كل صوت شريحة اجتماعية أو سياسية أو ثقافية أو دينية أو أسطورية، وبالتأكيد سوف يكون العمل الفني أكثر ثراءً كلما تعددت الأصوات وازدادت، وتعمّقت رموزها ومدلولاتها. في فيلم " المنعطف " ثمة تركيز واضح على ثلاث شخصيات رجالية يعملون في صحيفة " الناس " وهم سعيد " طعمة التميمي " الكاتب المميز الذي يكتب عن قضايا الناس العامة، وشريف " يوسف العاني " الشاعر والموظف في صحيفة الناس، ونبيل بيك الشاب الغني، الميسور الحال، وفي دائرة أخرى نكتشف حميد " سامي

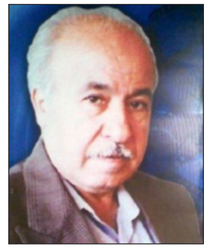

تعتمد رواية « خمسة أصوات « على بنية بوليفونية، أو على تعدد الأصوات كما هو الحال في البناء السمفوني بحيث يمثل كل صوت شريحة اجتماعية أو سياسية أو ثقافية أو دينية أو أسطورية، وبالتأكيد سوف يكون العمل الفني أكثر ثراءً كلما تعددت الأصوات وازدادت، وتعمّقت رموزها ومدلولاتها. في فيلم « المنعطف « ثمة تركيز واضح على ثلاث شخصيات رجالية يعملون في صحيفة « الناس « وهم سعيد « طعمة التميمي « الكاتب المميز الذي يكتب عن قضايا الناس العامة، وشريف «

عبد الحميد " الموظف الذي يعشق زميلته سلمى، وشخصيتين نسويتين وهما سلمى " سعاد عبد الله " الموظفة التي تقع في حب " حميد " وتتخلى عنه لاحقاً عندما تكتشف أنه متزوج، ولديه أطفال لكنه يعتبر هذه الزيجة من مخلفات الأب الذي أجبره على الزواج وهو صغير، فالآباء، على حد قوله يأكلون الحصرم، والأبناء يضرسون " لقد أخفى حميد حكاية زواجه حتى عن أقرب الأصدقاء لديه، وكان يردد بأنه يريد أن يبقى أعزباً، حراً مثل الطير.

أما الشخصية الثالثة فهي شخصية " شريف " الشاعر، والمصحح، الذي لا يكف عن كتابة قصائد الحب والغزل سواء عن سلمى الموظفة الجميلة التي تنتظر فارس أحلامها أو عن بقية الفتيات الحسان. لاشك في أن هذه الشخصية وجودية، وتعيش في الحلم أكثر مما تعيش في الواقع بحيث أنه يرتضي بالزواج من موميس ليذكرنا بمفهوم " الموميس التائبة " التي أشبعت بحثاً ومعالجة في السينما العالمية أو المصرية على وجه التحديد. غير أن " شريف " يموت في نهاية المطاف ميتة مشرفة وهو يبحث عن زميلة " سعيد " الذي خرج ولم يعد بحيث بدأت أمه تخشى عليه من السجن أو التعرض لطلقة طائشة في المظاهرات التي كانت تنطلق آنذاك بعد الفساد الإداري الذي عمّ بغداد، والاحباطات التي أصابت شرائح واسعة من الشعب العراقي. وهناك شخصيات لعبت أدواراً ثانوية لكنها أثثت البنية الروائية، وعمّقت من الأصوات البوليفونية، فستار، عامل النفط الذي قاد العديد من التظاهرات، ولعب دوراً ثورياً مهماً في الفيلم، كما ساهم بقدر كبير في الكشف عن شخصية " حميد " المزيفة من خلال الرسائل التي كان يكتبها لسعيد باسم مستعار " نجاة " واستدرجه إلى منزل أم هناء كي يكشف كل أوراق حميد، ويعري شخصيته المزيفة، لكن هذا الأخير يعود إلى رشده بعد أن يكتشف صدق سعيد وستار اللذين جلبا ابنته المريضة للمستشفى وأنقذاها من موت محقق. كما ينبغي ألا ننسى شخصية نبيل بيك، الشاب الثري، الذي يسكر يومياً مع أصدقائه الثلاثة، ويستعرض الظرف حيناً آخر. أما " حميد " سامي عبد الحميد فقد كان أداءه رتيباً، لا تنويع فيه بالرغم من أن الدور المناط به كان ثرياً، ومتنوعاً، وملتبساً، هذا ناهيك عن علاقته العاطفية بسلمى والتي كانت تتيح له عبر القبل الطوال والمداعبات الحسية التي كان يُفترض أن تفجّر طاقاته الفنية الكامنة.

أما سعاد عبد الله، وهي مطربة فجة، استطاعت أن تؤدي دوراً مقنعاً، ويبدو أن قدراتها التمثيلية أكبر بما لا يقاس بقدراتها الغنائية السمجة. حاول الفيلم أن يسلط الضوء على الوضع السياسي الذي كان يعيشه العراقيون في الخمسينات من القرن الماضي، وأرادوا الإيحاء بأن البرلمان مزيف، والانتخابات مزيفة، لكن الثورة قادمة والتغيير لابد أن يحصل على أيدي الفقراء والمظلومين. وجدير ذكره أن السمة الشعبية الطاغية على أبطال فرمان هي التي ساعدت مخرج الفيلم على أن يوزع البطولة الجماعية على ثلاث شخصيات رئيسة، ويُنقذنا من محنة البطل الواحد، ولو دققنا جيداً في الخلفية الاجتماعية لهذه الشخصيات لوجدناها تنتمي إلى الطبقتين المتوسطة والفقيرة باستثناء " نبيل بيك " الموظف الثري، وهو ابن لوزير سابق، وقد همّشه الروائي، ومنحه دوراً لا نكهة فيه سوى التبجح، والتعالي على الآخرين. أما البطولة الحقيقية فقد كانت لأبناء المحلات الشعبية البغدادية مثل الصحفي سعيد، والموظف حميد، وحتى للمشردين الذين لا مأوى لهم مثل الشاعر شريف الذي ينام في مبنى صحيفة " الناس ". إن ما يميز هذا الفيلم هو الحرفية العالية لأغلب كوادره بدءاً بالمخرج، مروراً بالممثلين، وانتهاءً بالتقنيين. وكما هو معروف فإن المخرج جعفر علي " ١٩٣٣ " قد تلقى تعليمه في جامعة " أيوا " الأمريكية، وتخرج منها عام ١٩٦١ بعد نال شهادة الماجستير في السينما والتلفزيون، وسبق له أن درس الأدب الإنكليزي في جامعة بغداد، وتخرّج منها عام ١٩٥٦. وفي عام ١٩٦٥ كُلف من قبل مصلحة السينما والمسرح بإخراج فيلم " الجابي " الذي كتب قصته، وحواره، ووضع له السيناريو، ومَنْتجه، "وبذلك يكون جعفر علي مُحققاً أول فيلم روائي ينتجه القطاع العام في العراق " كما يذهب أحمد فياض المفرجي في كتابه " فنانو السينما في العراق ". وفي آذار عام ١٩٧٥ عُرض فيلم" المنعطف " في العراق، ثم تواصلت عروضه في عدد من المهرجانات الدولية ولعل أبرزها مشاركته في مهرجان موسكو السينمائي التاسع عام ١٩٧٥. أغلب الممثلين في هذا الفيلم هم محترفون، وبعضهم من رواد الحركة الفنية المسرحية والسينمائية في العراق بجيليها الأول والثاني مثل يوسف العاني، وسامي عبد الحميد، وطعمة التميمي، وعبد الجبار عباس، وزكية خليفة، وسميرة أسعد، وسمر محمد، وغزوة الخالدي. ومن التقنيين نذكر مدير التصوير نهاد علي، وهو غني التعريف، والماكيير يوسف سلمان، والمونتاج لصاحب حداد. ويجب ألا ننسى دور صادق الصائغ ونجيب عربو اللذين أعدا القصة، ووضعا حوار وسيناريو الفيلم بالرغم من الإشكالات الدعائية التي حرفت مسار الفيلم، وزحزحته في الاتجاه الذي لم يخدم مؤلف النص الأصلي غائب طعمة فرمان.

لقطة من فيلم المنعطف

جعفر علي ممثلا في فيلم المسألة الكبرى

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (2499)
السنة التاسعة
الخميس (31)
أيار 2012

شيخ السينمائيين العراقيين

جعفر علي

ياسر عيسى الياسري

سنة أخرى تمر على رحيلك يا جعفر وبصمت أيضا كما كان موتك بصمت أيها المعلم لا ادري هل هو حظك العاثر أن تكون مبدعا في بلد يقضم أجمل سنوات مبدعيه ومن ثم يقدم لهم المراثي بعد موتهم؟ ولكن المفارقة معك أنهم لم يحتفوا بك لا حيا" ولا ميتا" . .

كنا ثلاثة أنا والدكتور مجيد الخطيب والدكتور إسماعيل خليل نقف أمام مقصلة الطب العدلي ببغداد ننتظر وننتظر حتى يأذن او يقتنع الجلاد انك تجاوزت السبعين وليس على جسدك المنهك من التعب من فراق الأحبة من حرج أو مسئولية في ان يخلد لراحة أبدية . . معذرة أستاذي كنت أود أن أتكلم عن انجازاتك في السينما العراقية وكم تخرج من تحت يديك ولكن موتك الأسطوري وكيف تعامل معه الرسميون يجعلني لا أنسى ذلك اليوم الذي ربما لن ينصفي من ذاكرتي المتعبة استذكار جعفر علي استذكار ذو شجن على الأقل بالنسبة لي فجعفر علي صاحب تجربة المنعطف، والجابي والكثير من الأعمال المسرحية، والنقدية بالإضافة انجازه ترجمة السفر التعليمي الكبير" فهم السينما " لجانيتي . . كنت معه في اللحظات الأخيرة لكوني المدرس المساعد الذي ادخل معه إلى قاعة المحاضرات!

ماذا استحضر عن جعفر علي استحضر موته المأساوي وهو يقف في طابور مع حفيدته ليتسلم دواء الأمراض المزمنة وحينما يسقط يؤخذ إلى الطب العدلي.. وحينما ذهبت من الجارية إلى الطب العدلي لأجد الدكتور مجيد الخطيب والدكتور إسماعيل خليل.. وكنا و نحن نستلم جثمان جعفر لم نجد صورة له كي نعلقها على التابوت وهو الذي كان محاطا" بالمئات من الصور .

كانت أيامه الأخيرة توحي بموت بطئ فقد بدأ يفقد كل شيء فزوجته قتلها متهور في نفق الشرطة.. وابنته الدكتورة قد ماتت هي الأخرى.. اما حبيبته وابنته العزيزة السينما فكان يشاهد موتها البطئ.. كان حزنه كبيراً..

كان جعفر علي يزرع الأمل رغم كل شيء، الحصار والدمار.. كان يقول صوروا بالفيديو.. المهم المعالجة الدرامية للنص المكتوب والمرئي وكم من الطلبة كنت تسهر الليالي معهم ترتدي معطف المختبر الأبيض تتحمل رائحة مواد التحميض وتصحح النسب وتعتني بالمختبرات كأنها أولادك وبالفعل بعد اندثرت تلك المختبرات بحجة الحصار وضعف الموارد.

اذكر وحين كنت محررا في صفحة الفن السابع اعددنا والزميل صفاء صنكور ملف عن جعفر علي.. ولكن جاء الرفض من رئاسة التحرير في حين عندما توفى المخرج الايطالي فليني وافق رئيس التحرير علي ذلك فوراً. لماذا؟ وألف لماذا وأنا أتلقى في اليوم التالي صفحة بديلة لم يكن فيها سوى موضوع واحد يستذكر وعندها وبعدها كان فراق بيني وبين صفحة الفن السابع التي لم يحترمها احد ولم يحترم غيابك فيها احد ولم يدافع عما انجزناه من شيء بسيط يكرم ذكراك التي لم يستذكرها الا الصحفي علي حمود الحسن في جريدة الصباح قبل عام . . حتى قاعة العرض التي سميت فيما بعد باسمك بعد موتك بسنوات طالها القصف لأنهم وضعوا قربها أجهزة إرسال تلفزيوني في حرب ٢٠٠٣ واحترقت!

العارضات السينمائية التي بقيت محافظا" عليها وكنت تعلمني كيف أتعامل مع تلك الآلات التي تبعث ضوءا" ساطعا من أقطاب كربونية كنت تقول إنها منقوشة ولكن لا يوجد أفضل منها لمنح الضوء الكافي لعرض فلم سينمائي ولكنني لم انجح في رعاية تلك الآلة الضخمة عندها أحسست وبرؤية المعلم أنني لا أحب الآلات واعشق النظرية فكنت أول من درسنا على يديه أرسطو وفن الشعر كنت تحاول أن تبسط للطلبة المفاهيم الدرامية لأرسطو وكنت قد بدأت لتوك وضع مائة سؤال وجواب عن الدراما لم تنجز منها سوى ثلاثين سؤلا كان الكتاب سيكون شرحا" جديدا لأرسطو ، ربما كان سيكون الكتاب الأكثر حداثة في الوطن العربي لا بل في العالم ولم لا وترجمتك لكتاب فهم السينما نهشتها دور النشر لم يعطوك شيئا" من حقوقك المادية على الرغم من أنهم وضعوا اسمك كمترجم لهذا العمل الضخم وهذا ما كان يحمل لك الأمل في انك كنت ستطالب يوما ما بحقك ولكن حقك كان مسلوبا في وطنك فمن الذي سيعطيك حقك في بلدان أخرى. . كنت أراك من بعيد تحلم وأنت لا تشارك أحدا" في جلسة او حوار وقتها كانت الحرب العراقية الإيرانية تحصد الأرواح البريئة والخائفة كانوا يتهمونك بأنك من التبعية الإيرانية ومتشيع والعديد من التهم وكان البعض الآخر يتهمك بأنك شيوعي ولا يجوز وجوبا الاقتراب منك في عرف الدين والسياسة التي كانت سائدة في العراق آنذاك ولكنني كنت اتهك انساني كبير لا تنتمي الا لإنسانيتك تفلسف خطب ومقولات الإمام علي وتدرس علم الجمال الماركسي ضمن منهج درس علم الجمال الذي حاولوا اختطافه منك ولكننا نحن تلاميذك استطعنا ان نسيطر على دروسك و لا نسمح لأحد بتغير المنهج الذي وضعته.. معلمي اعلم أنني مهما تكلمت ورثيت ستبقى في داخلي تلك الصرخة المكتومة ونحن نعود بك الى مبنى كلية الفنون الجميلة لنجدها وقد أصبحت ساحة تدريب عسكري اصطف فيها الطلاب مرعوبين من العرفاء والمدربين على السلاح وعند دخول جنازتك انفرط النظام وسط ذهول العسكر من هذا المحمول على خشبة يهين هيبة الوقفة العسكرية قال مهدي احد الطلبة انه جعفر وحملوك في سيارات الكلية وفي شوارع الوزيرية كم كنت كريما في موتك الذي حفظ لك هيبتك من ان يرغموك على النزول إلى ساحة التدريب كما فعلوا بالفنانين الشيوخ كما حسدك بعضهم وبكى آخرون لموتهم الذي لم يحن بعد وكم كان بعضهم يرغب ان يشرب نخبك الأخير. كنت تحب ان تشرب مما يصنعه صاحب حداد من جهاز التقطير الخاص به كنا نقول لك بكائي الصامت وبدموع جليل التي كانت تنهمر وهو يصوب عدسة الكاميرا ليأخذ اللقطات الأخيرة لتشييعك في الكلية أرأيتم ببكائي فزت بوجبة غداء ربما كنت ستضحك وتطالبني بنصف الوجبة لأنك كنت أنت من علمتني أن أبكي بصمت. وابقى صرختي مكتومة لأرفع اسمك أينما حللت واحمل همك العراقي أينما كنت . . تؤلمني ذكرى موتك جعفر . .

يؤلمني ان الوطن الذي علمتنا حبه غدا غابات للموت . . تؤلمني تلك الدماء التي أبعدت ذاكرة الوطن عنك ولو للحظات . . يؤلمني ان قنديلك المضاء لم يعد قادرا على تفتيت الظلام الذي اخذ يتكاثف من حولنا . . يؤلمني أنني سأخيب ظنك واترك رسالتك التي حملتني لأوصلها لمن سيأتي من تلاميذ معلمي ما عاد التلاميذ قادرين على استيعاب أرسطو و لا علم الجمال وهم يرون الموت ليلا ونهارا كنت ستعذرني لو واجهت عيونهم المتعبة من منظر قبح الموت الهمجي والانقطاع الدائم للضوء وارتجافهم عندما يسمعون أصوات الانفجارات القريبة والبعيدة وزخات الرصاص التي طالت البعض منهم نسوا كيف يحبون وأنت تعلم أننا دون الحب والروايات والقصص القصيرة . . معذرة معلمي ان تركت مكاني فما عدت قادرا على الاحتمال . . وأعود الى ذكراك وأقول وداعا معلمي وامسح دمعك وأنت ترى عراقك محطما" وانت ترى حلمك قد غدا مستحيلا في عودة السينما العراقية بعد فقدنا العراق نفسه .

وهنا أسمع صوتك يقول لي عندما تبكيني أبكي معي العراق ولكن تذكر أن العراق لا يموت عنقاء أسطورية تنهض من تحت الركام تمنح الارض مطراً غزيراً" يغسل آثار الدماء واليد الهمجية ما يزال في النخلة الرطب والعين تنظر من خلال عدسة الكاميرا مستعدة ليوم يعود فيه العراق من رحلة التعب الطويلة لتلتقط صورة لمستقبل أفضل . . .

جعفر علي اثناء اخراج فيلم الجلبي

جعفر علي و (المنعطف) في لندن

عباس عبد جعفر

فنان سينمائي

زبائن المقهى الثقافي في لندن كانوا يوم ٢٥-٩-٢٠١١ على موعد جديد مع ممارسة ثقافية ذات نكهة جديدة ، كما اعتاد المقهى في امسياته ، وذلك بعرض فيلم (المنعطف) للفنان الراحل جعفرعلي الذي اخرجه عام ١٩٧٥، عن رواية (خمسة اصوات)، للكاتب غائب طعمة فرمان. وقبل العرض جرى عرض مقدمة على الشاشة الكبيرة، حيث استعرضت حياة المخرج الفنية الحافلة بالعطاء واختارت تلك المقدمة الفيلمية مشاهد من فيلم المخرج الاول (الجابي) الذي يعتبر اول انتاج للقطاع العام في العراق ، وعرضت المقدمة مشهدا من الفيلم الغنائي (حمد وحمود) الذي اخرجه ابراهيم جلال، وكان جعفر علي مخرجا منفذا له . وفي تقديمه المحلة الشهم الذي كان يوقع رسائله الى سعيد باسم نجاة ويطلب منه المساعدة. غير ان سعيد يقاوم تردده، ويبدأ بالخطوة الواثقة بمساعدة طفلة حميد المريضة، والاشتراك في الاضرابات. اما شريف الشاعر الوجودي الخائف، فهو يقاوم وضعه بالسخرية ، و يتجرأ في اتخاذ الموسى زوجة له، بل يشق الصفوف لانقاذ صديقه سعيد غير ان هراوات الشرطة كانت اسرع لتهشيم جسده ، ثم تأتي الطلقات لتغتصب حياة انسان نذر نفسه للحرية، حيث تدور الكاميرا حوله تصور موته وهو يسترجع زمنا او نبؤة تخيفه من الموت بالطلقات. و لا يتوقف الفيلم كثيرا على شخصية البرجوازي نبيل الثري المهتم بملذاته فقط ولكنه يرصد حالة التحول عند حميد اتجاه عائلته. ويبدو ان البطل الجماعي يحضر في الفيلم بقوة من خلال تصاعد المظاهرات، لتأخذ عين الكاميرا في تصوير ازدياد الاعداد كعلامة ان التغيير سيأتي.

ومعروف ان الفنان الراحل جعفر علي ولد عام ١٩٣٣ ، تخرج من كلية الآداب (جامعة بغداد) عام ١٩٥٦ حاصلاعلى بكالوريوس الأدب الانكليزي.

عبدالله، وغزوة الخالدي، وعبدالجبار كاظم، وسمير حنا، وخليل الحركاني. ويتناول فترة الخمسينيات بتعقيداتها السياسية ، من خلال شخصيات فاعلة وغير فعالة في المجتمع ولكنها بعيدة عن التحزب، وتتعرض لعسف السلطات والعسف الاجتماعي، فسعيد الصحفي الذي يعمل بصحيفة (الناس) ذات النبرة العالية مع السلطات والتي يجري غلقها واعتقال صاحبها، يعرف الكثير عن المظالم السياسية من خلال رسائل القراء وشكاواهم ورسائل صديقة الشيوعي المسجون في نقرة السلمان، وكذلك كشف زيف صديقه حميد الذي انهمك في ملذاته على حساب عائلته وعدم اكتراثه بمرض اطفاله ومن خلال تلقيه رسالة من العامل (ستار) ابن المحلة الشهم الذي كان يوقع رسائله الى سعيد باسم نجاة ويطلب منه المساعدة. غير ان سعيد يقاوم تردده، ويبدأ بالخطوة الواثقة بمساعدة طفلة حميد المريضة، والاشتراك في الاضرابات.

اما شريف الشاعر الوجودي الخائف، فهو يقاوم وضعه بالسخرية ، و يتجرأ في اتخاذ الموسى زوجة له، بل يشق الصفوف لانقاذ صديقه سعيد غير ان هراوات الشرطة كانت اسرع لتهشيم جسده ، ثم تأتي الطلقات لتغتصب حياة انسان نذر نفسه للحرية، حيث تدور الكاميرا حوله تصور موته وهو يسترجع زمنا او نبؤة تخيفه من الموت بالطلقات. و لا يتوقف الفيلم كثيرا على شخصية البرجوازي نبيل الثري المهتم بملذاته فقط ولكنه يرصد حالة التحول عند حميد اتجاه عائلته. ويبدو ان البطل الجماعي يحضر في الفيلم بقوة من خلال تصاعد المظاهرات، لتأخذ عين الكاميرا في تصوير ازدياد الاعداد كعلامة ان التغيير سيأتي.

ومعروف ان الفنان الراحل جعفر علي ولد عام ١٩٣٣ ، تخرج من كلية الآداب (جامعة بغداد) عام ١٩٥٦ حاصلاعلى بكالوريوس الأدب الانكليزي.

ثم التحق بجامعة ايوا الأمريكية وتخرج فيها عام ١٩٦١، وعاد الى بغداد وهو يحمل شهادة ماجستير السينما والتلفزيون.

عمل مدرسا للصوت والإلقاء في معهد الفنون الجميلة – بغداد واستاذا لمادة التمثيل في اكاديمية الفنون الجميلة في اول تأسيسها.

اصدر سلسلة من مختارات المسرح العراقي بعد ان انس مع زميله الفنان سعدون العبيدي فرقة مسرح بغداد الفني ثم أسس في سنة ١٩٦٩ فرقة مسرح اليوم والذي ترأسها تقديرا لمكانته وجهوده. ومن التمثيليات التلفزيونية التي اخرجها (الرجل الذي فقد رائحته) و(زهرة السلطان) و(ماكو جارة) التي تم قطع عرضها في تلفزيون بغداد بامر من القصر الجمهوري لانها كانت تنتقد بشدة البيروقراطية والمحسوبية والفساد، وقدم التلفزيون في اخر خمس دقائق من مدة عرضها التي دامت ٥٥ دقيقة رقصة شرقية لسهير زكي، مما اثار استهجان الجمهور لهذا الفعل الفج والمفضوح والذي جاء معبرا عن مستوى السلطة الضحل، وكل ذلك لم يثن جعفر علي عن المواصلة دون تقديم التنازلات وواصل بجد عطاءاته الثرة فأسس قسم (السينما) في اكاديمية الفنون الجميلة عام ١٩٧٣ وبقي مدرسا في القسم حتى وفاته، وشغل ايضا منصب مدير التلفزيون في الستينيات.

اما أهم الاعمال السينمائية التي اخرجها فيلمه السينمائي الأول (الجابي) عام ١٩٦٨ وهو يتحدث بشكل واقعي عن معاناة المحصل وعن حياة الناس وهمومهم اليومية داخل حافلة نقل الركاب، و فيلمه الثاني (المنعطف)– ١٩٧٥ والثالث (سنوات العمر – ١٩٧٦)، والذي صورت أكثر مشاهده في ألمانيا وبالألوان والذي يتحدث عن اليد العاملة العراقية وعودة الكفاءات العراقية من الخارج إلى أرض الوطن، إلا إن الفيلم لم ير النور لأسباب إنتاجية.

عاد جعفر علي إلى الإخراج السينمائي في ١٩٩١ بعد خمسة عشر عاما من إخراج فيلمه (سنوات العمر ١٩٧٦) ليخرج فيلمه السينمائي (نرجس عروس كردستان) وهو اول فيلم روائي كردي..

والأعمال التي اشترك بها ممثلا بها عديدة منها فيلم (المسألة الكبرى) – ١٩٨٢ و (الفارس والجبل – ١٩٨٨) و الملك غازي – ١٩٩٣و شارك بكتابة السيناريو والإدارة الفنية في فيلم (فائق يتزوج – ١٩٨٤)، وكان المخرج والمنفذ في فيلم (حمد وحمود – ١٩٨٥ كما كتب قصة فيلم طائر الشمس – ١٩٩١.

وابرز مسرحياته التي اخرجها مسرحية (فيت روك) لمؤلفها ميغان تيري، والتي تتحدث عن الحرب الفيتنامية الأمريكية، و الخاسئر الأمريكية فيها وعلى الهواء الطلق ومثلها قسم من طلبة أكاديمية الفنون الجميلة، و(الغريب) و(ضرب التبغ) و(قصة حديقة الحيوان) و(عروس للمزاد) و(اين تقف ؟) و(السؤال) ..و مثل في مسرحية (مواطن بلا استمارة) ولعب دور السجين فيها وهي من تاليف عبد الصاحب ابراهيم و اخراج وجدي العاني وقدمتها فرقة مسرح اليوم والتي كان اداء جعفر فيها رائعا فقد سعى لابراز شخصية المواطن الى اثبات حقه بالمواطنة، في وقت كانت الفاشية الحاكمة تسقط الجنسية عن من تتهمهم بالتبعية وقد شخصت لجنة التحكيم فوز المسرحية في احتفالات يوم المسرح العالمي وفوز بطلها جعفر علي كأفضل ممثل لكن السلطات الحاكمة قررت حجب جوائز ذلك الاحتفال.

ان مأقدمه المقهى الثقافي بلندن في امسية يوم ٢٥ ايلول ٢٠١١ كان احتفاء بالسينما الجادة التي غيبها النظام واستذكارا لاحد مبدعيها ووفاء لما قدمه من عطاء صادق ومحاولات جريئة في سبيل فن يناقش برؤية فنية متميزة هموم الناس وتطلعاتهم.

فرقة (مسرح اليوم)

صفحة رائعة من تاريخ المسرح العراقي

ع اديب القليه جي

في ٤ ايلول ١٩٦٩ انطلقت فرقة جديدة الى الفرق الاهلية العاملة هذه الفرقة هي (فرقة مسرح اليوم) التي اسسها جمع من الفنانين الديمقراطيين الموهوبين والمؤهلين ، على رأس هذه المجموعة الفنان القدير جعفر علي الذي درس السينما والمسرح في امريكا ويدرس مادتي المسرح والسينما في اكاديمية الفنون والرئيس السابق لفرقة مسرح بغداد الفني التي تأسست عام ١٩٦١ وكان الكاتب المسرحي نور الدين فارس ضمن تشكيلة الفرقة الجديدة . اضافة الى الفنان قاسم حول والفنان نجيب عربو والفنان ضياء محمد ناجي و الفنان احمد فياض المفرجي والفنان مكي البدري .اضافة الى الفنانين والفنانات وداد سالم ،فاطمة الربيعي ، اديب القلية جي،بسام الوردي ، علي فوزي، فاروق اوهان ، منير عبدالامير، صفوت الجراح ، ناظم شاكر ، وازهر جواد .. والتحق بالفرقة بعد سنة من تأسيسها الفنانة سعدية الزيدي ، والفنانون عبدالوهاب الدايني ، ووجدي العاني و منذر حلمي وعلي رفيق .

وتوالت اعمال فرقة اليوم واخذت مكانها الى جانب الحركة المسرحية واعمال الفرقة التي سبقتها وكانت فرقة مسرح اليوم واعمالها اللاحقة مركز اهتمام الفنانين والجمهور على حد سواء .

وكان اول عمل مسرحي اقدمت الفرقة على انتاجه هو مسرحية نور الدين فارس (الغريب) التي بدا الفنان جعفر علي على اخراجها لتقدم بعد ذلك للجمهور .. وقد حشد جعفر علي اخراجها لتقدم بعد ذلك للجمهور وقد حشد جعفر علي مجموعة من فناني الفرقة للعب ادوارهم في هذه المسرحية وهم : ناظم شاكر و علي فوزي، صفوت الجراح ، فيصل المقدادي ، بسام الوردي وداد سالم ، فاطمة الربيعي ، اديب القلية جي ، ازهر جواد ، عزالدين طابو ، مكي البدري ... واخرين وعرضت المسرحية على خشبة المسرح الوطني عام ١٩٧٠ وسجلها تلفزيون بغداد تقول الفنانة وداد سالم (اثارت مسرحية الغريب الكثير من النقاش والجدل في اوساط النخبة الفنية والثقافية وفي الوسط السياسي ايضا وفي وقتها عرض غازي مجدي وكان انذاك المسؤول الثقافي في اتحاد نقابات العمال فكرة عرض المسرحية لحساب الاتحاد على ان تجري بعض التغيرات في بعض المشاهد والافكار لتواءم مع توجه الاتحاد الذي يقوده حزب السلطة ومع سياسة الحزب الا ان الفرقة رفضت هذا العرض المشبوه رفضا قاطعا رغم المغريات المالية التي اشار اليها غازي مجدي لكن الفرقة كانت اكبر من تلك المغريات ومن هكذا مساومات خسيسة فهي فرقة ذات اصالة فنية وفكرية) هذا ماكتبته وداد سالم في الكراس الصادر عن رابطة الكتاب والصحفيين والفنانين الديمقراطيين العراقيين – فرع بلغاريا ، بعنوان (مسرحيون عراقيون في المنفى) وكان الكراس مكرسا للفنانة وداد سالم والصادر عام ١٩٨٧ .

تتلخص فكرة مسرحية الغريب ان شدهان بغطرسته وبساطته وسذاجته لم يكن ليتصور ان الانسان الذي هو حصيلة العلاقات الاجتماعية المتمثلة في العمل يمكن ان يباع ويشترى ويشترى كما تباع وتشرى اي بضاعة في السوق لذلك كان رد فعله عنيفا كل العنف على نحو غير متوقع في بيئة تعودت على استغلال عمل الانسان بيعا وشراءا بحكم القانون والنظام وبحكم انقسام المجتمع ذاته على نفسه بين الذين يملكون كل شي والذين لايملكون اي شيء ان شدهان ينشده وينذهل حين يتساوى هو ودابته في كفتي ميزان العمل .. انه الامر الواقع الذي لم يستطيع ان يدركه بفطرته السليمة وقلبه الكبير ونفسه الصافية ومن هنا كان رد الصراع مزدوجاً بينه وبين نفسه وبينه وبين من يريد شراء قوة عمله .المسرحية نجحت فكريا وفنيا واستطاع جعفر علي وكادر العمل التمثيلي من تجسيد الفكرة الانسانية وتوصيلها الى المشاهد بوسائل ابداعية وبتمثيل متقن وفهم عال والتزام قوي في ذات الوقت .

×××

قدمت اكاديمية الفنون الجميلة مسلرحية متميزة حقا ومتالقة ايضا هي مسرحية (فيت روك) من تاليف بيتر فايس واخراج الفنان جعفر علي مثلها نخبة ممتازة من طلاب الاكاديمية الذين لعبوا ادوارهم بجدارة ومقدرة ووعي وادراك واستطاعوا بكل احترام توصيل ماتريد ان تقوله المسرحية من افكار انسانية . وقد اسهمت الموسيقى التي وضعها الفنان جعفر علي بنفسه اسهاما كبيرا في انهاض النص ونجاح المسرحية واستطاع جعفر علي السيطرة على تشكيلات جميلة ومؤثرة وفيها معنى اثار اهتمام المشاهدين من كل التلاوين . المسرحية قدمت على المسرح الوطني في كرادة مريم ثم قدمت ايضا في المهرجان الاول الذي اقيم في حصن الاخيضر الاثري .

وقد تنافست الصحف في الكتابة عن هذه المسرحية وتناولتها اقلام النقاد بالمديح والثناء . والمعروف ان السفارة الفيتنامية والجالية الموجودة في بغداد اضافة الى وفود جاؤوا من فيتنام كانوا فيحضور المسرحية على المسرح القومي وقد استقبلوها بترحاب وفرح شديد واكدو ان هذا التضامن مع قضيتهم في الحرب التي تشن عليهم من قبل العسكرية الامريكية ماهو الا دليل على انسانية المسرح في العراق والقائمين عليها وارتباطهم بالامم التي يحاولون استبعاده والسيطرة على شعبها وحريتهم وكرامتهم لكن هذا حلم لايمكن تحقيقه.

عن كتاب 97 عاما من مسيرة المسرح العراقي

مع ابراهيم جلال وسعد الطائي

مع محي الدين زنكنه

مشهد من فيلم المنعطف

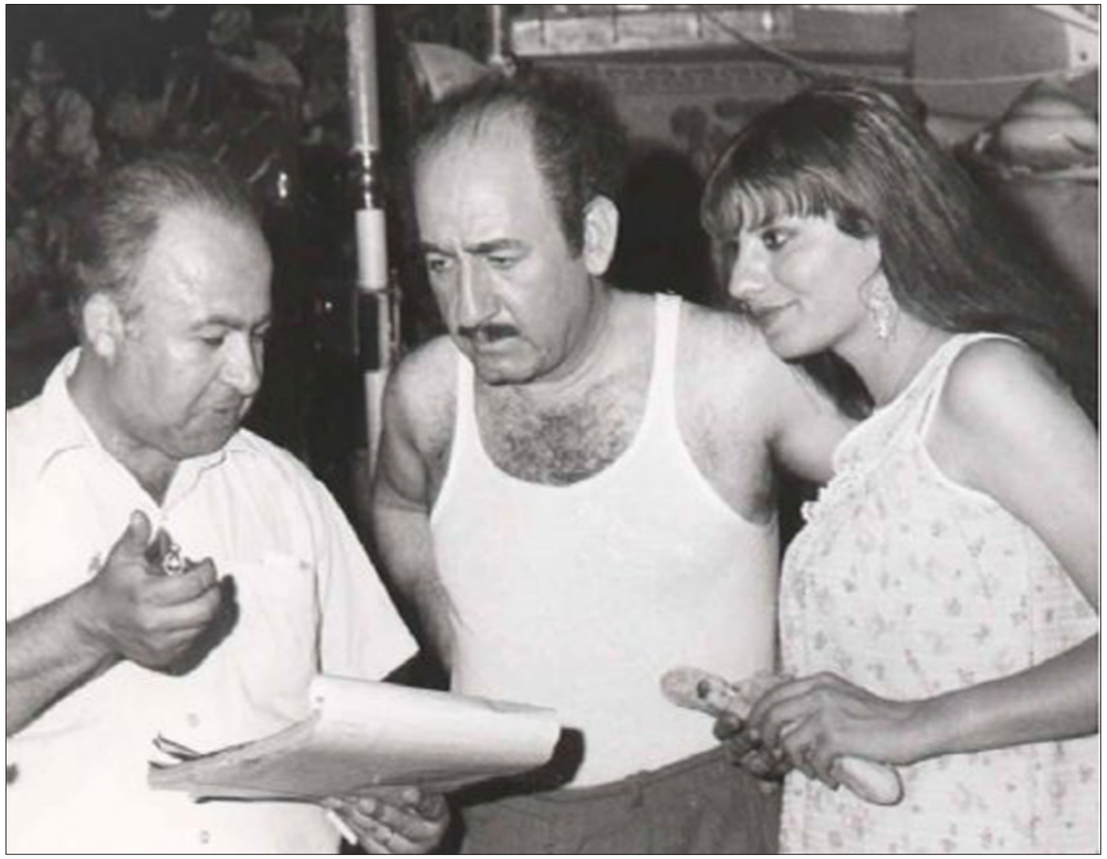

جعفر علي في (المنعطف) مع يوسف العاني وسميرة اسعد

السينما العراقية

ع جعفر علي

منذ ان خرج اول فلم عراقي الى النور عام ١٩٤٨ وحتى هذه الساعة لم يزد عدد الافلام العراقية عن الخمسة والعشرين فلما، اي اقل من فلمين لكل عام. واذا ما القينا نظرة على مواضيع هذه الافلام ومستوى العاملين فيها وجدنا بعض الحقائق المذهلة.

رغم ايماننا بان الموهبة لا تخضع لسن او شهادة، الا اننا نؤكد في الوقت نفسه ضرورة التزود بالثقافة الفنية وضرورة وجود ثقافة عامة بدرجة عالية لكي يستطيع اي انسان ان يقدم لنا انتاجا فنيا مهما كان نوعه.

بعد ما تقدم نقول بان مخرجي هذه الافلام يتدرجون من البعض الذي لايملك حتى شهادة الدراسة المتوسطة، الى البعض الاخر الذي درس الاخراج السينمائي في الدول الاوربية والامريكية، وما يقال عن المخرجين يقال ايضا عن الفنانين الاخرين المشتركين في هذه الافلام. مع تقرير حقيقة معروفة هي عدم وجود فنيين مختصين في تصميم الانارة والصوت والمناظر والملابس.

اما اذا نظرنا الى منتجي هذه الافلام نجد انهم يختلفون من تاجر يطلب الربح الى منتج فنان يهدف الى المستوى الفني وليس الربح المادي.

ومواضيع هذه الافلام يمكن تصنيفها الى: اولا، المواضيع التي تدور حوادثها في الريف مثل نعيمة) و(عروس الفرات) و(عودة الى الريف) و(عفرا وبدر): ثانيا، المواضيع الحديثة، مثل (مشروع زوج) و(ابو هيلة) و(من المسؤول و(سعيد افندي) : ثالثا، المواضيع التاريخية، مثل (نبوخذ نصر)، رابعا: البوليسية، مثل (بصرة ساعة ١١) ، بين هذه الافلام فيلم ملون واحد هو نبوخذ نصر، جميع هذه الافلام تسلك السرد الواقعي، وبعضها لا يتعدى السرد الفوتوغرافي للاحداث.

والان بعد هذه الاحاطة الموجزة بتاريخ الفلم العراقي نود ان نبين ان مصير الفلم العراقي ظل طوال سني عمره الخمس عشر معلقا بين المنتج والمخرج. هوى ما يقارب نصف عدد الافلام العراقية بسبب المخرج الجاهل الذي كانت تعوزه الثقافة العامة ناهيك عن الثقافة الفنية.

وهوى اكثر من نصف الباقي بسبب المنتج الجاهل اضافة الى المخرج الذي تعوزه الخبرة الفنية، اما الافلام التي نستطيع ان نقول بانه حققت نجاحا نسبيا فان عددها لا يتجاوز السبعة افلام، من هذه الافلام: (سعدي افندي، وبصرة ساعة ١١ ومن المسؤول وابو هيلة ونعيمة ونبوخذ نصر ومشروع زواج، رغم ان بعض هذه الافلام فشل ماديا.

هل نلقي تبعة فشل الفلم العراقي على المنتج ام المخرج ام الجمهور؟ هل نلقي المسؤولية على نظام التوزيع؟ هل نلقي المسؤولية على الضرائب الباهضة؟

الواقع ان هناك اكثر من سبب جعل الفلم العراقي مقعد غير ان اهم واكبر هذه الاسباب ثلاثة: المنتج والمخرج وضريبة الملاهي.

مشهد من فيلم نبوخذ نصر

ان المنتجين الذين مولوا أكثر الافلام العراقية لم يكن لديهم الادراك ولا الارهاف الفني الذي يؤهلهم للحكم على القصة الجيدة والمستوى الجيد، وليس ادل على ذلك من اختيار هؤلاء المنتجين لقصص هزيلة ونعاقدهم مع مخرجين لا يعرفون عن الاخراج اكثر من بضع كلمات وتعاقدهم مع ممثلين لا يفهمون من التمثيل غير ما شاهدوه من الافلام كأي متفرج عادي.

ولو سألت اي منتج من هؤلاء عن كيفية دخوله في العمل بهذا الفلم او ذاك لتبين انه لم يعمل ولا دخل عملا، وانما وقع في شرك نصبه له (مخرج) حاذق، اذا فلامر والحالة هذه لا يعدو ان يكون انتاجا اعتباطيا لا يعرف اوله من اخره.

ويأتينا المخرج كعامل اخر مهم في فشل الفلم العراقي، الادراك والذوق والثقافة والخبرة كل ذلك رصيد المخرج خلاف الموهبة، واذا ما تصفحنا سجل الاشخاص الذين تولوا اخراج الفلم العراقي حتى الان نجد ان باستثناء ثلاثة او اربعة من المخرجين – فوجا ممن وجد في الشاشة الفضية متنفسا لهواياته، كانت مواضيع افلامهم على الرغم من ضحالتها ارفع من مستوى ادراكهم الفني والادبي.

واذا ما انتقلنا الى العامل الثالث في فشل الفلم العراقي نجد انها ضريبة الملاهي التي تستنزف ربع ايراد الفلم. فلا يستطيع الفلم بعد ذلك ان يدر ربحا الا خلال سنين طويلة.

واذا ما تخلص الفلم العراقي من ربقة المنتج الجاهل والمخرج الجاهل وضريبة الملاهي، فانه سيجد حتما طريقه الى درب السينما العربية والعالمية.

*** مقال كتبه الراحل ونشر في مجلة العاملون في النفط عام 1966**

جعفر علي وتاريخ السينما في العراق

ليث عبد الكريم العبيدي

اسعد عبد الرزاق في فيلم الجابي

يرى كثير من الباحثين إن السينما العراقية تعد واحدة من ابرز سينمات الوطن العربي، من حيث المضمون الفكري أولا ومن حيث عدد الأفلام المنتجة ثانيا، هذا فوق إنها رابع اقدم صناعة سينمائية بعد المصرية والسورية والتونسية، وبرغم كل ما مر بها من ظروف قاهرة جعلت من فترات صمتها تطول، إلا إنها كانت بحق متميزة.

شهد العراق أول عرض سينمائي(سينما توغراف) ليلة الأحد ٢٦ تموز ١٩٠٩ في دار الشفاء في الكرخ، في مكان وسط بستان ملاصق للعبخانة، سمي فيما بعد بـ (سينما بلوكي) نسبة إلى تاجر مستورد للآلات كان معروفا في العراق. واصبحت أول دار عرض تفتح في بغداد وبعدها تعددت دور العرض السينمائية مثل (أولمبيا) و(سنترال سينما) و(السينما العراقي) و(السينما الوطني)، وعلى اثر اتساع العروض وتأثير دورها وزيادة اهتمام الصحافة بالسينما جرت عدة محاولات لانتاج أفلام في العراق، إحداها سنة ١٩٣٠ إذ سافر حافظ القاضي بطيارة إلى إنكلترا لجلب أجهزة ولوازم السينما تمهيدا لانتاج فيلم في العام ١٩٣٨ إلا أن هذه المحاولة قد أجهضت قبل أن يتمكن أصحابها من تصوير اللقطات الأولى لأفلامهم.

وفي الأربعينيات شرع أثرياء الحرب بتكوين الشركات السينمائية وكان أولها(شركة أفلام بغداد المحدودة) التي أجيزت في عام ١٩٤٢ ولم توفق في إنتاج أي فيلم. وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية، بدأت صناعة الفيلم في العراق، ومنذ ١٩٠٩ ظل القطاع الخاص المستورد والموزع للأفلام، ولم يحالفه الحظ في دخول الإنتاج إلا في الأربعينيات.

- البدايات:-

إذا كانت مصر قد أنتجت أول فيلم سينمائي (ليلى) عام ١٩٢٧، فان السينمائيون العراقيون باشروا في العام ١٩٤٦ بإنتاج أول فيلم عراقي من قبل مجموعة من الشبان المتحمسين للسينما الذين أسسوا (شركة أفلام الرشيد العراقية- المصرية)، وكان الفيلم (ابن الشرق) الذي أخرجه(إبراهيم حلمي) ومثل فيه عدد كبير من الفنانين العرب مثل بشارة واكيم ومديحه يسري ونورهان وأمال محمد، أما من العراق فقد شارك في الفيلم عادل عبد الوهاب، حضيري أبو عزيز وعزيز علي، وعرض فيلم (ابن الشرق) خلال أيام عيد الأضحى المبارك في١١/٢٠/ ١٩٤٦ في سينما الملك غازي، دفع نجاح فيلم (ابن الشرق) إسماعيل شريف صاحب سينما الحمراء في بغداد بالتعاون مع اتحاد الفنانين في القاهرة الذي يضم المخرج احمد بدرخان، والمصور عبد الحليم نصر، والماكيير آنذاك حلمي رفله إلى إنتاج فيلم (القاهرة- بغداد) الذي قام ببطولته عميد المسرح العراقي حقي الشبلي أمام الفنانة مديحه يسري، وعرض الفيلم في بغداد لأول مرة في ١٩٤٧/٣/١٠ في سينما الحمراء. كان لنجاح هذين الفيلمين صداه عند عدد من المستثمرين الذي انشئوا أول أستديو سينمائي في العراق هو (أستوديو بغداد) وكان باكورة أعمالهم فيلم (علية وعصام) المستوحى من قصة روميو وجوليت ولكن بأسلوب بدوي، واشترك في التمثيل إبراهيم جلال وعزيمة توفيق وجعفر السعدي واخرجه المخرج الفرنسي اندريه شوتان، وصوره جال لامار، وعرض الفيلم لأول مرة في ١٩٤٩/٣/١٢. في سينما روكسي، وحقق الفيلم نجاحاً هائلاً من خلال تدفق المئات من محبي السينما لمشاهدته نظراً لموضوعته الأثيرة وتناوله حياة البادية فضلا عن تقنيته المتميزة. وبعد نجاح فيلم (عليا وعصام) جاءت التجربة الثانية لأستوديو بغداد مخيبة للآمال حيث فشل فيلم (ليلى في العراق) الذي قام ببطولته الفنان اللبناني محمد سلمان ونورهان، ومن العراق عفيفة اسكندر وإبراهيم جلال، واخرجه المخرج المصري أحمد كامل مرسي وعرض في سينما روكسي بتاريخ ١٩٤٩/١٢/١٥، ويعود سبب فشل الفيلم إلى اعتماده على نجاح فيلم سابق للمطرب محمد سلمان بعنوان (لبناني في الجامعة) سنة ١٩٤٧، والذي أخرجه حسين فوزي وشاركته البطولة المطربة صباح. إن هذه الأفلام جلبت بعض الشبان الذين اطلعوا على أسرار هذا الفن الجميل وامتلكوا بعض المؤهلات التي تساعدهم على قيادة هذه الصناعة الجديدة. لكن بعد عرض فيلم (ليلى في العراق) أصاب القطاع الخاص الخمول ولم يستطيع أحد إنتاج فيلم يستهل فيه الخمسينات.

شهد العراق أول عرض سينمائي(سينما توغراف) في ليلة الأحد 26 تموز 1909 في دار الشفاء في الكرخ، في مكان وسط بستان ملاصق للعبخانة، سمي فيما بعد بـ (سينما بلوكي) نسبة إلى تاجر مستورد للآلات كان معروفا في العراق. واصبحت أول دار عرض تفتح في بغداد وبعدها تعددت دور العرض السينمائية مثل (أولمبيا) و(سنترال سينما) و(السينما العراقي) و(السينما الوطني)، وعلى اثر اتساع العروض وتأثير دورها وزيادة اهتمام الصحافة بالسينما جرت عدة محاولات لانتاج أفلام في العراق، إحداها سنة ١٩٣٠ إذ سافر حافظ القاضي بطيارة إلى إنكلترا لجلب أجهزة ولوازم السينما تمهيدا لانتاج فيلم في العام ١٩٣٨ إلا أن هذه المحاولة قد أجهضت قبل أن يتمكن أصحابها من تصوير اللقطات الأولى لأفلامهم.

وفي عام ١٩٥٨ بدأ تصوير فيلم (ارحموني) وهو من إنتاج شركة الحداد والشيخلي وسيناريو واخراج حيدر العمر وتمثيل المطربة المعروفة هيفاء حسين والمطرب والملحن رضا علي، مع بدري حسون فريد وكمل القيسي، عرض هذا الفيلم لأول مرة في آذار عام ١٩٥٨ ولاقى إقبالا جماهيرياً هائلاً نظراً لفيلودراميته وموضوعته التي تعاطف معها الجمهور. وقد سبق عرض هذا الفيلم، فيلم (سعيد أفندي) الذي يعد والى الآن علامة بارزة أخرى في السينما العراقية، وهو من إخراج كاميران حسني ومثل فيه يوسف العاني وزينب وجعفر السعدي وعرض في شباط ١٩٥٧ وهو من إنتاج شركة اتحاد الفنانين لصاحبيها كاميران حسني وعبد الكريم هادي ومقتبس عن قصة شجار للكاتب العراقي ادمون صبري وسيناريو وحوار يوسف العاني، وقدم الفيلم أحوال الحواري البغدادية والعلاقات الاجتماعية والأزياء والعاب الأطفال خلفية لدراما الفيلم الذي يتحدث عن خلاف ينشأ بين جارين بسبب مشكلة بسيطة تتطور ولكن في نهاية المطاف تسود روح التسامح والمحبة لأبناء الحي.

ومع بداية عام ١٩٥٨ بدأ تصوير فيلم (أدبته الحياة) للمخرج مهند الأنصاري وانتاج شركة مهند الصراف وتمثيل مهند الأنصاري ومديحه شوقي، وفي العام نفسه عرض فيلم (عروس الفرات)، من إنتاج شركة أفلام النسر قصة وسيناريو وحوار واخراج عبد الهادي مبارك، ويتحدث الفيلم عن فتاة تهرب من عائلتها من اجل أن تتعلم. وعرض في عام ١٩٥٨ فيلم (الدكتور حسن) وهو من إخراج محمد منير آل ياسين وانتاج أفلام (دنيا الفن) ومثله ياس علي الناصر وخلود وهبي، وعرض أيضاً فيلم(تسواهن) الذي أنتجته شركة سمير أميس وكتب القصة والسيناريو وأخرجه حسين السامرائي ومثل فيه حسين السامرائي ورمزية حميد. وفي عام ١٩٥٩ قدم برهان الدين جاسم فيلم (إرادة شعب) تمثيل ابر أهيم العزاوي وأزهار أحمد، وأنتج الفيلم عبد الرزاق الاسدي

قدم القطاع الخاص من شركات وأفراد عدة أفلام لا تخرج طبيعتها عن الأفلام المقلدة للأفلام المصرية باستثناء فيلم (قطار الساعة ٧) والذي عرض في عام ١٩٦٢ لمخرجه حكمت لبيب، ومن تمثيل سعدي يونس، ودنيا فريد، وهو من إنتاج أفلام المدرسة الواقعية الحديثة. وقبل هذا الفيلم عرض فيلم (حوبة المظلوم) أو (القرار الأخير) من إخراج صفاء محمد علي وانتاج إبراهيم الشيخلي وتمثيل جمعة الشبلي وسلمى عبد الأحد وعرض الفيلم في عام ١٩٦١، وفيلم (أنا العراق) للمخرج محمد منير آل ياسين ومن إنتاج شركة أفلام الشرق السينمائية تمثيل سعدي يونس وانتصار سامي وعرض الفيلم عام ١٩٦١، وفيلم (من اجل الوطن) لمخرجه فوزي الجنابي وانتاج محمود شكري وبطولته مع سعاد هيثم، وفيلم (سلطانة) للمخرج صفاء محمد علي وانتاج علي السراجي وتمثيل علي الاغواتي ولواحظ، وفيلم (مشروع زواج) للمخرج كاميران حسني وانتاج شركة سمير أميس وبطولة فخري الزبيدي وإلهام حسين والذي عرض عام ١٩٦٢، وفيلم (انعيمة) لمخرجه عبد الجبار ولي وأنتاج شركة سومر وتمثيل سلمان الجوهر وخولة عبد الرحمن والذي عرض عام ١٩٦٢، وفيلم (أبو هيلة) لمخرجه محمد شكري جميل وانتاج شركة سومر وتمثيل يوسف العاني وزينب وعرض عام ١٩٦٢، وفيلم (فجر الحرية) الذي أيخرجه محمد منير عبد الحكيم وأنتجته شركة أفلام الزبيدي ومثله عارف الزبيدي وعائدة احمد والذي عرض عام ١٩٦٢. وعرض أول فيلم عراقي ملون وهو فيلم (نبوخذ نصر) لمخرجه كامل العزاوي من إنتاج شركة شهرزاد وتمثيل سامي عبد الحميد ونجلاء سامي حيث بدأ الإنتاج لهذا الفيلم عام ١٩٥٧ وبلغت تكاليفه أكثر من أربعين ألف دينار وتم إنجازه عام ١٩٦١ ولم يسترد تكاليف الإنتاج عند عرضه وتوزيعه سنة ١٩٦٢، وانتج فيلم (اسعد الأيام) في عام ١٩٦٣ وهو من إخراج برهان الدين جاسم ومن إنتاج أفلام الزبيدي ومثله عارف الزبيدي ومديحه وجدي، وعرض فيلم (يد القدر) عام ١٩٦٣ وهو من إخراج كامل العبلي ومن إنتاج أفلام العربي وبطولة عدنان الإمام وسلمى عبد الأحد، وعرض فيلم (العودة للريف) عام ١٩٦٣ واخرجه فالح الزيدي وهو من إنتاجه أيضاً وبطولة رفعت إبراهيم وسليمة خضير، وعرض فيلم (بصرة ساعة ١١) الذي أخرجه وليم سيمون ومن إنتاج أفلام الجمهورية، وبطولة حسين الزبيدي وأحلام وهبي وعرض الفيلم عام ١٩٦٣. وفي العام نفسه عرض فيلم (أوراق الخريف) لمخرجه حكمت لبيب، إنتاج أستوديو هاماز ومن تمثيل سليم البصري وموارين، ويعد هذا الفيلم من الأفلام التي لاقت نجاحاً جماهيرياً مرموقاً في مسيرة السينما العراقية كونه يحمل موضوعاً اجتماعيا بإخراج متقن. وفي عام ١٩٦٤ عرض فيلم (مع الفجر) لمخرجه عبد الجبار العبيدي ومنتجه هلال المالكي وبطولة فاروق هلال وبرلنتي حميد، وفي العام نفسه عرض فيلم (عفرة وبدر) لمخرجه فالح عبد العزيز الزيدي ومن إنتاج صالح الشيخلي وتمثيل ياس علي الناصر وبرلنتي حميد، وعرض في عام ١٩٦٥ فيلم(ليالي العذاب) إخراج جواد الشيخلي وانتاجه وتمثيل سليم الوكيل وأحلام وهبي، وتم عرض فيلم (غزالة) وهو من إخراج جواد مطشر وانتاج شركة أفلام الكواكب وتمثيل سليم سالم وبرلنتي حميد في عام ١٩٦٥، وفي عام ١٩٦٦ عرض فيلم (الغرفة رقم ٧) وهو من إخراج كاميران حسني وانتاجه وتمثيل عبد الله الشماس ونادية جمال، وانتج هاشم جعفر فيلم (درب الحب) وهو من إخراج برهان الدين جاسم في عام ١٩٦٦ مثله المطرب فاروق هلال ومديحه وجدي.

- دور القطاع العام:

في عام ١٩٥٩ أنشأت أول مؤسسة حكومية للسينما العراقية هي مصلحة السينما والمسرح، لكنها لم تباشر الإنتاج إلا في النصف الثاني من الستينات، ولحين ظهور أفلام المؤسسة استمرت وتيرة الإنتاج السينمائي الخاص، علماً إن المصلحة قد اشترت المعدات والأجهزة الخاصة التي كانت لدائرة الاستعلامات الأميركية في بغداد، والتي كانت تقوم بإنتاج الأفلام الإخبارية القصيرة قبل قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، وكانت الأفلام التي قدمتها مصلحة السينما والمسرح أفلام وثائقية ذات صلة بأحداث الثورة في تلك الفترة وأستمر الحال إلى عام ١٩٦٦، إذ قدمت فيلم (الجابي) من إخراج جعفر علي، وتمثيل اسعد عبد الرزاق، ووداد سالم، وفوزية الشندي، وجعفر السعدي، وتدور أحداث الفيلم داخل حافلة لنقل الركاب، إذ يقدم المفارقات التي يتعرض لها الجابي من جراء اتصاله بشخصيات وشرائح اجتماعية متعددة ومتنوعة.

وبعد عام ١٩٦٨ صدر قانون دمج المصلحة بالمؤسسة العامة للإذاعة والتلفزيون، وفي عام ١٩٧٢ صدر قانون فصل المؤسسة من الإذاعة وتحويلها إلى مؤسسة تعنى بشوؤن السينما والمسرح. وفي عام ١٩٧٥ استطاع الفيلم العراقي الوثائقي تسيد الموقف الفني فاشترك بمهرجانات سينمائية عالمية منها (لايبزغ وموسكو وكارلو فيفاري وطشقند وقرطاج) ووصل معدل ما انتج من أفلام وثائقية إلى أربعين فيلما تناولت موضوعات عديدة علمية وتربوية وتأهيلية وثقافية.

أما الأفلام الروائية فقد تميزت: بانطلاقها من الواقع الموضوعي للمجتمع مثل (بيوت في ذلك الزقاق) عام١٩٧٧ إخراج قاسم حول و(التجربة) عام ١٩٧٨ إخراج فؤاد التهامي و(النهر) عام ١٩٧٨اخراج فيصل الياسري، وقد عرضت هذه الأفلام بعد الإنتاج الأول للمؤسسة وكان بعنوان (الرأس) للمخرج فيصل الياسري عام ١٩٧٧. لقد وفرت المؤسسة أجهزة ذات مستوى عال واوجدت كوادر فنية متخصصة في الحقل السينمائي من خلال الدورات في العراق أو خارجه، وقد حددت آنذاك أهدافها بمايلي:-

١- النهوض بالصناعة السينمائية في جمهورية العراق.

٢- دعم الإنتاج السينمائي في خدمة الثقافة والعلم والقضايا القومية.

فكانت الأفلام التي أشرفت على إنتاجها المؤسسة ذات مستوى رفيع، ومتميزة من حيث مواكبتها للتغيرات السياسية والاجتماعية في العراق، حتى انه يمكن القول إن فترة السبعينات تعتبر من اكثر الفترات عطاء في مسيرة السينما العراقية، في حين كانت فترة الخمسينات والستينات بالنسبة للسينما العراقية فترة جفاف أو على احسن تقدير فترة شبه اضمحلال.

جعفر علي ونور الدين فارس

عراقيون
من زمن التوهج
ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون
رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم
نائب رئيس التحرير
عدنان حسين
مدير التحرير: علي حسين
الاخراج الفني: نصير سليم
التصحيح اللغوي: نوري صباح
طبعت بمطابع مؤسسة
المدى
للإعلام والثقافة والفنون

جعفر علي.. شيخ السينمائيين

ولد في بغداد عام ١٩٣٣ وتخرج من كليةالاداب جامعة - بغداد ١٩٥٦ وهو يحمل
بكالوريوس الادب الانكليزي ، التحق بجامعة ايوا الامريكية وتخرج منها ١٩٦١
يحمل شهادة ماجستير السينما والتلفزيون ، فعاد إلى بغداد وهو يحمل ثناياه بتحقيق السينما عراقية الهادفة.
[أصبح مدرسا للصوت والالقاء في معهد الفنون الجميلة - بغداد ، ومدرسا للتمثيل في
كلية الفنون الجميلة ، فشكل مع الفنان سعدون العبيدي فرقة مسرح بغداد الفني واصدر
سلسلة من مختارات المسرح العراقي.
عين مدرسا للالقاء والصوت في معهد الفنون الجميلة ، ومدرسا للتمثيل في
أكاديمية الفنون الجميلة ببغداد
أسس قسم السينما في أكاديمية الفنون الجميلة - ١٩٧٣واصبح رئيسا للقسم واستدعى ابرز
الاساتذة العرب ليدرسوافي الفرع منهم توفيق صالح ، هاشم النحاس واميل بحري.
ظل مدرسا في اكاديمية الفنون الجميلة ببغداد حتى وافاته.
افتتح الدراسات العليا في قسم السينما ايضا.
أسس قسم السينما في معهد الفنون الجميلة كذلك ، واستورد ابرز الاجهزة والمعدات السينمائية من
ضمنها كامرا ١٦ و٣٥ملم ، واستدعى ابرز الاساتذة المختصين لهذا القسم الجديد في
الاكاديمية منهم المخرج
السينمائي المعروف توفيق صالح للاخراج ،هاشم النحاس ، لؤي القاضي وعباس الشلاه،
حتى تكاملت كل المواصفات الفنية للقسم ، وكانت الصيغ والاساليب التي اتبعها لقيادته لهذا القسم
السينمائي الشاب تشكل تحديا لكل المعاهد السينمائية في الوطن العربي.
اصبح مديرا للاذاعة والتلفزيون

سينمائيا

لدى تأسيس مصلحة السينما والمسرح في العراق اخرج فيلمه السينمائي الاول الجابي
١٩٦٨والذي كتب قصته والسيناريو والحوار جعفر علي نفسه،وهو يتحدث بشكل واقعي عن حياة
الناس وهمومهم اليومية داخل حافلة نقل الركاب (طول الفيلم)،
أخرج فيلمه الثاني (المنعطف) ١٩٧٤ ، والمأخوذ عن رواية الكاتب العراقي
الراحل غائب طعمة فرمان بعنوان (خمسة أصوات) وهو من ابرز الافلام السياسية
الذي انتجته الشركة
الوطنية للافلام الوطنية وعرض في العديد من المهرجانات العربية والمحلية والدولية
من ضمنها مهرجان
موسكو السينمائي والذي عرض ١٩٧٥
أخرج فيلمه السينمائي الثالث سنوات العمر ١٩٧٦والذي صورت اكثرية مشاهده في ألمانيا
وبالألوان والذي يتحدث عن اليد العاملة العراقية وعودةالكفاءات العراقية من الخارج إلى ارض
الوطن ، الا ان الفيلم لم يرى النور لأسباب انتاجية.
شارك ممثلا في فيلم المسألة الكبرى ١٩٨٢
للمخرج محمد شكري جميل
شارك بكتابة سيناريو فيلم فائق يتزوج ١٩٨٤ للمخرج المصري ابراهيم عبد الجليل
وعمل كذلك في الادارة الفنية بنفس الفيلم
مخرج منفذ في فيلم حمد وحمود ١٩٨٥ والذي اخرجه ابراهيم جلال .
كتب قصة فيلم طائر الشمس ١٩٩١ والذي اخرجه الراحل صاحب حداد.
مثل في فيلم الفارس والجبل ١٩٨٨ والذي اخرجه محمد شكري جميل .
مثل في فيلم (الملك غازي ١٩٩٣ للمخرج محمد شكري جميل .
عاد جعفر علي إلى الاخراج السينمائي في ١٩٩١ بعد خمسة عشر عاما من اخراج فيلمه سنوات العمر ١٩٧٦ ليخرج فيلمه السينمائي الجديد نرجس عروس كردستان .

ابرز مسرحياته منها:

ابرز المسرحيات التي اخرجها مسرحية (فيت روك) لمؤلفها ميغان تيري ، والتي تتحدث عن الحرب الفيتنامية الامريكية ، والدلالة على الخسائر الامريكية في الحرب مع فيتنام ، قدم جعفر علي هذه المسرحية في حصن الاخيضر بمدينة كربلاء وعلى الهواء الطلق ومثلها قسم من طلبة اكاديمية الفنون الجميلة، وحضر الشاعر الكبير محمد مهدي الجواهري لمشاهدة هذه المسرحية في كربلاء.
أسس في عام١٩٦٩فرقة مسرح اليوم والذي ترأسها تقديرا لمكانته وكفائته فأخرج عددا من المسرحيات منها:
الغريب
ضرر التبغ
قصة حديقة الحيوان
عروس للمزاد
السؤال وغيرها من المسرحيات
مثل في مسرحية مواطن بلا استمارة دور السجين فيها والتي اخرجها وجدي العاني . ومن
التمثيليات التي اخرجها الرجل الذي فقد رائحته وزهرة والسلطان).

عراقيون
من زمن التوهج